الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

كليّـــة الآداب واللّغات

قسـم اللّغــة والأدب العربـــي

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tébessi - Tébessa

العنوان: تداوليّة الحجاج في الحوار الدّرامي "مسلسل ربيع قرطبة" _أُنموذجًا _

مذكـــــــرة مقدمـــــــة لنيـــــل شهـــادة ماستر L.M.D

التّخصص: لسانيـــات الخطـــاب

من إعداد الطّالبـــة:

*جهينـــــة بوكـــوبـــة

إشراف الأستـــاذ :

* د. الحـــــاج موســـــاوي

لجنـــة المناقشـــة:

الإسـم واللقـب	الرّتبـــة العلميـــة	الصفـــة
د. رشيد وقّاص	محاضر ب	رئيسا
د. الحاج موساوي	محاضر ب	مشرفا ومقررا
د. منى برهومي	محاضر ب	عضوا مناقشا

السّنـــة الجامـــعيّة: 2020/2019

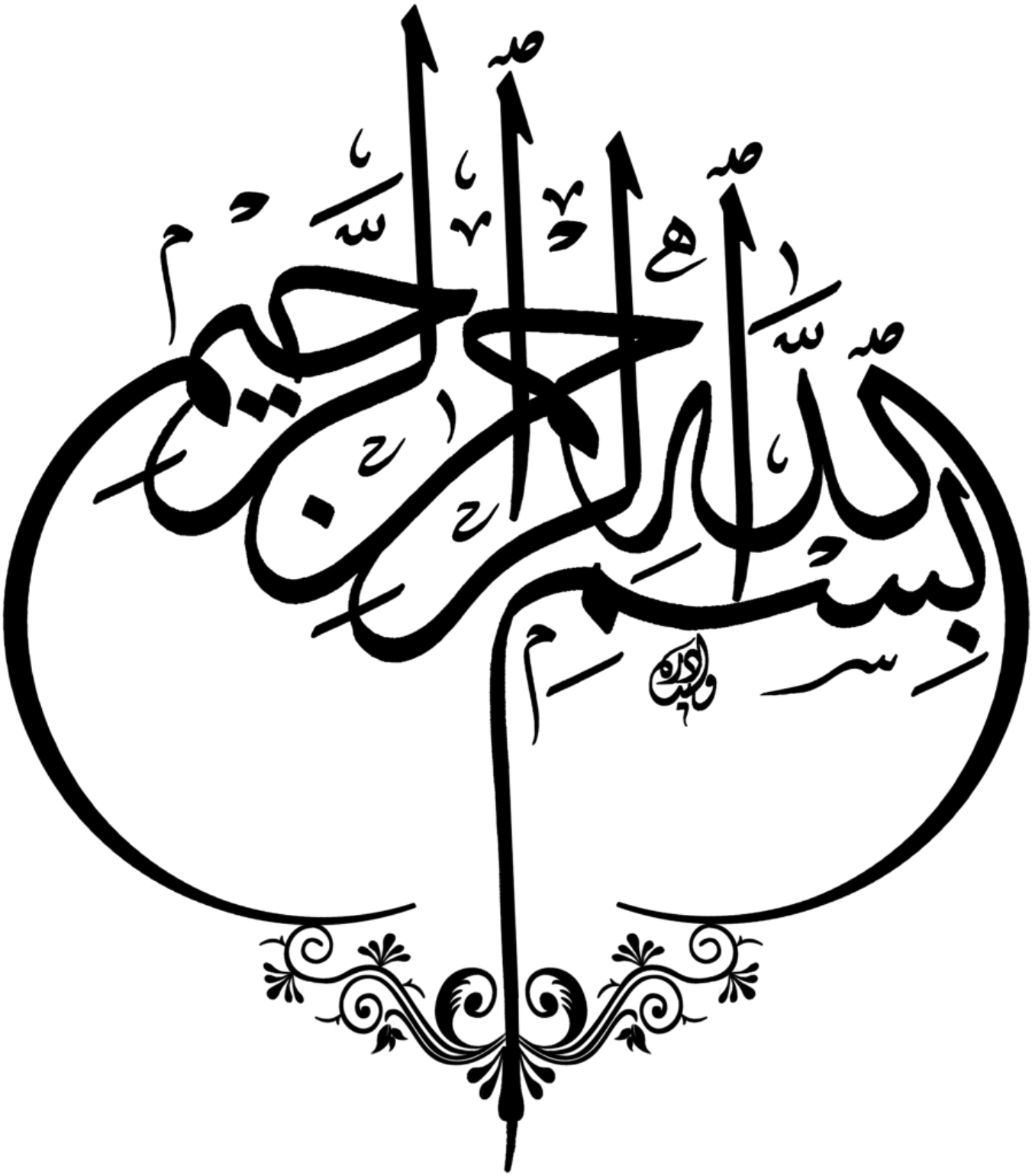
بسم الله الرحمن الرحيم

لايسعنـــي في هذا المقـــام إلّا أن أتقـــدّم بالحمـــد وخالـــص الشّكـــر للرّحمـــان الرّحيـــم باســـمه أبـدأ وأستعيـــن علـــى ما منحنـــي إيّاه من عزم ومقدرة على إكمال هذا العمل.

كما أرفع أسمى آي التّقدير والاحترام إلى أساتذتي الأفاضل في قسم الأدب العربي بجامعة الشّيخ العربي التّبسي، وكذلك أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذي المشرف "**الحـــاج موســـاوي**" فحقيقٌ عليّ أن أشيد به، وخليـقٌ بي أن أعترف بفضله.

جزيل الشّكر والتّقدير أيضا لأعضاء لجنة المناقشة كلّ باسمه على ما سيبذلونه من جهد لقراءة هذا العمل.

وأخيرًا أشكر كلّ من مدّ إليّ يد العون من قريب أو بعيد، وأخصّ بالذّكر"**أمّي وأبي**" و أختي الغالية "**عفراء**" و"**نجاة**" وكلّ عائلتي وأقرباء قلبي.

الطّالبة: **بوكوبـــــة جهينـــــة.**

إهـــــــــــــــــداء

وكأنّني أنجز رسائل السّلام في بداياتي أحضن ذراعًا ساعدني وانتشل ما بقي منّي، كنت ملطّخة بسواد المحابر أرسم طريق النّجاح ترشّه أمّ بدعاء خافتَ شقّ صدر السّماء في ثلث اللّيل البهيم، وأب بيد حملت شموع أنارت الدّرب العسير.

إلى التّي أنجبتني بميقات جنّتي ونفسي أمّي.

إلى سيّد الفؤاد وسندي الحامي في المحن أبي.

من عروس القرنفل وإليها، ابنة وطن حرّرته نخوة الشّهداء وفحولة النّساء وطني قبس من نور كسّر ظلم وظلام الغاشم فرسمت حروفه في عنان الحريّة أمنا وسلاما أن تحيا الجزائر شقيقة الأقصى من صلب صلاح الدّين والعربي الرّجل الثّائر.

إلى شهداء الجزائر إلى مجاهديها ومنهم جدّي الحبيب "أحمد بن التّوهامي بودجاجة" _رحمه الله و أسكنه فسيح جنّاته_

إلى كلّ من التقيته صدفة ونهلت منه حرفًا وبنيت من قطرات تعبي صرحًا اطّلعت على نفسي وأنا أرتدي في معصمي أساور كسري ودرع نجاح قائدة ثائرة.

إلى"عفراء" عيدي وميعادي وموعدي وعودتي ولوعتي. إلى"أخي" عمودي الفقري وتاج رأسي. إلى منى أمّي الثّانية "منى" لؤلؤة البيت. إلى نوارة وعصافيرها "إكرام" و"يقين" و"عبد الحي". إلى "شيماء" وصيصانها "شعيب" و "أنفال". إلى مؤنستي "نجاة" وأخي الّذي وهبني إيّاه الله "عقبة". إلى صغيرة البيت بالنّيابة "سهام". وكتاكيتها "سراج الدّين"و "أيّوب". إلى أختي الحنونة "دعاء" حفظها الله.

إلى "يمّة دايخة "رائحة الحياة وخالتي "الطّاويسة" و"كريمة" والزّهرتان الجميلتان "وفاء" و"وهيبة".إلى المجاهد المغوار"جدّي محمّد لخضر"_حفظه الله_ وجّدتي بلسم المجالس.إلى عمّتي الغالية "نانتي" وعمّتي الحبيبة "نوّة" وإلى بنتيها "أمونتي وعبّورتي".إلى ابنة عمّي الجميلة والطّيبة "شهد".

وإلى الأقرباء دمّا أعزّاء الرّوح والأصدقاء الكرام.

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف خلق الله، محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم.

أمّا بعد:

حفِل الدّرس اللّسانيّ بعدّة دراسات وبحوث متنوّعة، ففي كلّ مرّة تظهر اتّجاهات لسانيّة تنطلق ممّا انتهت إليه سابقتها، لتخطّ بذلك نظريّة جديدة في مسار اللّسانيات. ممّا جعل هذه الأخيرة تتفرّع إلى اتّجاهين رئيسيين؛ الأوّل شكلي يركّز على دراسة ووصف النّظام اللّغوي، والثّاني وظيفي يركّز على دراسة استعمال هذا النّظام؛ تَمثَّل ذلك في المعطى التّداولي الّذي حظي باهتمام كبير، وغدا مجالا خصبا لدراسة كل أشكال التّواصل الإنساني، حيث يُولي اهتماما واسعا بالوقائع الخارجيّة وطرفي أقطاب العمليّة التّواصليّة مع الظّروف الزّمانية والمكانية. وقد تبوّأت التّداولية مكانة متميّزة في العقود الأخيرة، من خلال الإضافات التّي قدّمتها للدّرس اللّساني؛ ولأنّها حقلٌ معرفيٌّ متعدّدة المشارب كلٌّ نظر إليها حسب مجاله؛ فمن منظور البعض ليست سوى مستوى مستقل من مستويات التّحليل اللّساني إلى جانب التّركيب والدّلالة والصّوت، ومن منظور آخر فهي مستوى مندمجا في الدّلالة. وفي مقابل هذين المنحنين هناك منحى عدّها اتّجاها لسانيا قائما بذاته له قضاياه ومباحثه الخاصّة، ومنحى آخر يقرّ بانتمائها للعلوم المعرفية.

فالتّداولية المدمجة هي إحدى هذه الإتّجاهات الّتي عَمِلت على إدماج بعض قضايا التّداولية في صلب التّحليل الدّلالي من قبيل الإشاريّات، والموجّهات، والرّوابط الحجاجيّة...، فهي تهتمّ بالخصائص الحجاجيّة للملفوظات أكثر ممّا تبحث في شروط صدقها، فتحدّد المعنى المقصود اعتمادً على البنية الدّاخليّة للملفوظ وانسجامها مع السّياق الكلامي، وقد وضع أولى لبنات هذا الإتّجاه "**أزوالد ديكرو**" في الرّبع الثّالث من القرن العشرين (١٩٧٣م) بجسدٍ لغوي ونفسٍ تداولي، وهذه النّظريّة هي أهمّ النّظريات التّي قعّدت لنظريّة "**الحجاج في اللّغة**" لصاحبيها "**ديكرو وأنسكومبر**" اللّذان آتيا بطرح يعاكس التّصور الكلاسيكي للحجاج القائل بوجود انفصال بين الملفوظ كبنية واستعماله الحجاجي، والقائل أيضا أنّ الحجاج يبرز من خلال الرّجوع إلى الوقائع وليس إلى الملفوظات.

فالحجاج حسب هذه النّظرية متجذّر في البنية اللّغوية، فهو واقعة تتّصل بالخطاب وتتحقّق داخله، لتصبح اللّغة أداةٌ ومحلٌّ له في الآن نفسه؛ أي أنّ الحجاج ينطبع في البناء اللّغوي للوقائع بحيث لا يمكن الفصل بينهما، ولا يمكن اعتبار اللّغة مجرّد أداة للتّواصل، بل لها وظيفة أوليّة وهي الوظيفة الحجاجيّة، والتّي نجدها متجذّرة في بنية الأقوال نفسها؛ فالحجاج إذن لبس خارجا عن اللّغة أو مضافا إليها، إنّه متجذّر فيها وملتصق بها. ومن هنا جاءت دراستنا الموسومة بـ: **تداوليّة الحجاج في الحوار الدّرامي " مسلسل ربيع قرطبة" _أنموذجا_.**

وبناءً على كلّ ما سبق يمكننا طرح الإشكال التّالي:

- ماهيّ نظريّة الحجاج في اللّغة الحديثة؟.

1. ما مفهوم الحجاج اللّغوي، وماهيّ أنواعه وخصائصه ومجاله ومكوّناته؟.
2. ماهيّ الآليات اللّغويّة الحجاجيّة الموظّفة في المسلسل لتحقيق الإقناع، والّتي تكشف عن معالم حجاجيّة اللّغة وتداوليّتها في آن واحد؟.
3. أين تظهر ملامح تداوليّة الحجاج في الحوارات الدّراميّة داخل المسلسل؟.

ومن الأسباب الموضوعيّة والذّاتيّة التّي دفعتني لاختيار هذا الموضوع مجملة فيما يلي:

- ✓ حداثة نظريّة "**الحجاج في اللّغة**" وتقديمها لتصوّرات جديدة تخدم مفهوم الحجاج وطبيعته ومجاله.
- ✓ أهميّة المقترحات المقدّمة بخصوص عدّة ظواهر لغويّة، إذ تمكّنت من حلّ الكثير من المشاكل والصّعوبات التّي كانت تعترض المقاربات الوصفية للمعنى.
- ✓ اندراج هذه النّظريّة ضمن تيّار حديث من الدّراسات اللّسانية؛ الّذي لا يعدّ الوظيفة التّواصليّة الإخباريّة الوظيفة الأساسيّة والوحيدة للّغة، بل يعدّ الوظيفة الحجاجيّة هي الأولى والأساس لها.

- ✓ تأكيد فرضيّة حجاجيّة اللّغة الطّبيعيّة ولا سيّما لغة الحوار الدّرامي، وكذا إبراز أهمّ الجوانب الحجاجيّة سعيًا منّي لالتماس مواضع الحجاج اللّغوي وقوّته الإقناعيّة وغاياته التّأثيريّة.

أمّا فيما يتعلّق عن أسباب اختيار " **مسلسل ربيع قرطبة** " كمدوّنة للتّطبيق؛ ذلك راجع إلى نقص السّاحة العربيّة من مثل هكذا مواضيع _ففي حدود علمنا_ أنّ هذه الدّراسة أوّل دراسة أكاديمية تدرس موضوع الحجاج اللّغوي في عمل فنّي درامي. ولأنّ المسلسل لم يقتصر على سرد لقصّة تاريخيّة غابرة، بل رشف من رحيق الكثير من علوم اللّغة ومشى في مناكبها. وهذا الأمر ليس هيّنا ومألوفا في إنتاج الأعمال الدّراميّة العربيّة المعاصرة خصوصا. وإنّ هذا ممّا يقلّ وينزر. وأزيد على ذلك رغبتي الشّديدة في أن يُسهم بحثي هذا في نفض غبار القرون عن شخصيّة فذّة في تاريخنا العربي الإسلامي، تجسّدت في وثيقة دراميّة حيّة، تميّزت بأسلوب لغوي فريد خاصّة في سير أحداثها الممتع اللّطيف والّذي كشف لنا ما تعرّض له "**محمّد**" من صنف البلايا والمحن وألوان الشّدائد. بيد أنّ هذه القصّة حكت لنا الوقائع كما هي لا تسرح ولا تحلّق في عالم الخيال، فلاحظت حضور معالم الحجاج فيها وفيما جاء على لسان شخصيّات القصّة في حواراتها، في صراعاتها، أو في سعي "**محمّد**" إلى إثبات براءته، أو في محاجّته لإثبات صدق دعواه، فاتّضح أنّ المحاجج في القصّة كأنّه يرتدي وشاح المحاماة، ليرافع عن قضيّة ويدافع عن فكرة أو ينتصر لموقف، ومن هنا تجده يحرص على تقديم معاينة مرهونة ببرهانها، مقرونة بدليلها، مؤيّدة بشاهدها، متّصلة بحجّتها. وهنا يكمن الأسلوب الحجاجي في سوق الحجج على ألسنة الشّخصيات المتحاورة، فتظهر القيمة الحجاجية لهذا المسلسل كونه خطاب إقناع وتأثير. وممّا زادنى رغبة في اختياره أنّني لم أر _على كثرة البحث وطول التّقصي_ من أفرد لما يتعلّق به دراسة مستقلّة، إذ لم أعثر على دراسة _في هذا المجال_ تروي غليلا وتشفي عليلا. فلمّا كان الأمر كذلك استخرت **الله تعالى**، ثمّ استشرت أساتذتي الكرام في أنّ أكتب في هذا الموضوع لعليّ أسلك في سلك من أسهم _ولو بنصيب صغير_ في إزاحة السّتار وإماطة اللّثام عن أحد أفذاذ الأمّة وعظمائها، فوجدت من أساتذتي كلّ تشجيع _خاصّة **الأستاذ** الفاضل **شريف حبيلة**_ فكان ذلك حافزا

آخر ودافعا قويًّا للانطلاق في فضاء هذا البحث، والسّير في آفاقه راجية تسديد **الله تعالى** وعونه وتوفيقه.

دون أن ننسى مبتغى هذه الدّراسة وهو الكشف عن تداولية الحجاج في الحوار الدّرامي، ومن ثمّ فهي تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف وأبرزها:

- ✓ البحث عن الآليات الحجاجيّة اللّغويّة والتّقنيات الإجرائيّة، وكيفيّة تطبيقها على الخطابات التّواصليّة.
- ✓ تأكيد فرضيّة حجاجيّة اللّغة الطّبيعيّة.
- ✓ التّطرق إلى أهمّ النّظريات الحجاجيّة الحديثة؛ والتّي ركّزت على مقصديّة المحاجج وردود أفعال المتلقي، والملابسات المحيطة بالعمليّة التّخاطبية من زمان ومكان ومعارف مشتركة بين أطراف الخطاب.

وقد اقتضت طبيعة الدّراسة الاعتماد على المنهج الوصفي؛ لأنّه الأنسب لهذا النّوع من البحوث من حيث وصف الظّواهر الحجاجيّة الكامنة في المسلسل، وتحليل المقاطع الحواريّة وفق آليّات النّظريّة التّداوليّة. كما كان لابدّ من الاستعانة بالمنهج التّاريخي في توثيق أحداث قصّة "**محمّد بن أبي عامر**" **(الخليفة المنصور)** في الأندلس، والتّحقق من بعض الشّخصيات التّاريخيّة والرّئيسيّة في المسلسل. كما استعنتُ بالمنهج التّداولي الّذي يتماشى وطبيعة الموضوع ومتطلّباته بوصفه أنجع أداة إجرائيّة تُظهر أوجه استعمال الحجاج في الخطاب، وتكشف الجوانب المقامية للحوار داخل المسلسل، ليسمح بالوصول إلى المعنى الحجاجي الموجود في ثناياه، ومن ثمّ إبراز مقاصد المتكلّم وأثرها في المتلقّي. فضلا على أنّ هذا المنهج يبيّن الوظيفة الحجاجيّة في بنية الملفوظ، ويبرز كذلك الوظيفة التّفاعلية بين الذّوات المتكلّمة، كما يرصد إنجازيّة الأفعال الكلاميّة داخل وخارج الحوار الدّرامي.

ومن أجل الوصول إلى تحقيق هذه الأهداف اقتضت طبيعة البحث هندسة مصمّمة من دراسة نظريّة موجزة وتطبيقيّة مفصّلة؛ مبدوءة بمدخل مفاهيمي، ثمّ وقفة وصفية مع المدوّنة،

ثمّ فصل تطبيقي مُعنون بـ: دراسة التّحليل الحجاجي في التّداول، مختومة بخاتمة مضمّنة لأهمّ ما توصّل إليه البحث من نتائج وتوصيّات واقتراحات.

وقد مهّدتُ **المدخل المفاهيمي** بحديث موجز عن البحث اللّساني عامّة، ثمّ خصّصتُ الحديث عن التّيار التّداولي، وذكرت أهمّ النّظريات المندرجة عنه مفصّلة أكثر في نظرية "**التّداولية المدمجة**" لما لها من علاقة جدّ وثيقة بنظريّة "**الحجاج في اللّغة**". وقد عرّجتُ بعد ذلك على أهمّ التّعريفات اللّغويّة والاصطلاحيّة للمصطلحات، من مثل التّداولية والحجاج والحوار والدّراما وتداولية الحجاج والحوار الدّرامي والسّيناريو. مستشهدة ببعض آراء الدّارسين العرب والباحثين الغربيين الذين لهم الصّيت الواسع في هذا المجال. كما تطرّقتُ لأهمّ خصائص تداوليذة الحجاج كخاصّية المقاصد والغايات، وخاصية التّفاعل والتّجاوب بين أطراف العمليّة التّواصليّة، وخاصيّة التّأثير والاستمالة، وغيرها من الخصائص الأخرى.

أمّا الجزء الثّاني من البحث فعنونته بـ: **وصف المدوّنة:** "**مسلسل ربيع قرطبة**" تناولتُ فيه بداية وصف الحضارة والثّقافة الاندلسيّة الإسلاميّة، ثمّ قدّمت نظرة موجزة عن الرّباعية الأندلسيّة؛ تلك السّلسلة الدّراميّة الفنيّة من تأليف "**وليد سيف** " وإخراج "**حاتم علي**". ثمّ انتقلت إلى وصف أحداث المسلسل طارحة جميع محطاته وخطواته ،وقد صوّرت كل الجوانب الاجتماعية والسّياسية والحضارية التّي رسمها المؤلّف في مجمل حلقات المسلسل، بهدف إعطاء صورة ملمّة للقارئ دون أن ننسى التّعريف بكل شخصيات المسلسل الرّئيسيّة المذكورة هامش المتن. وأتممتُ هذا العنصر بالحديث عن لغة المسلسل ونصوصه والأساليب المستخدمة في حواراته، ممثلة لشرح فكرة الفصل التّطبيقي بمقطع حواري تداولي حجاجي، وضّحتُ من خلاله وظيفة تلك الوسائل الحجاجيّة الاجرائيّة التّي تؤدّي إلى التّأثير والاستمالة والإقناع.

أمّا **الفصل التّطبيقي** المعنون بـ: **دراسة التّحليل الحجاجي في التّداول** فافتحته بتوطئة، ودرستُ فيه جلّ الآليات اللّغويّة الحجاجيّة حيث بدأت أوّلًا بالرّوابط والعوامل الحجاجيّة فتطرّقتُ إلى الحدود المفاهيميّة لكلّ نوع، ثمّ بيّنت دورهما التّداولي الحجاجي من إنشاء للتّساوق والتّعارض الحجاجي، والرّبط بين الأقوال، وفاعليتها في ترتيب سلميّة الحجج،

وحصر وتقييد للإمكانات التّأويليّة. وقد احتوت هذه الجزئيّة تمثيلًا تطبيقيّا لدراسة مجموعة من الرّوابط الحجاجيّة وهي (لكن) و(بل) و(حتّى) وعدّة عوامل حجاجيّة منها: عامليّة النّفي والاستثناء، وعاملية النّداء والقسم والتّوكيد **بأنّ** وعامليّة المكوّنات المعجميّة كذلك؛ لكثرة ورودهما في الخطاب الحجاجي. ولم نكن نهدف إلى دراسة هذه الواسمات اللّغويّة دراسة شاملة تبيّن جوانبها المعجمية والتّركيبية؛ إنّما كنّا نسعى إلى إبراز بعض الاستعمالات الحجاجيّة لها في الحوار الدّرامي. وتلت هذين المفهومين آلية أخرى تعدّ الضّامن الأساس لكلّ عمليّة تخاطبيّة حجاجيّة، وهي المبادئ الحجاجيّة (المواضع)، فبيّنتُ وظيفتها الحجاجيّة، ومدى تحقّق قيمتها التّداولية من خلال مقاربة ظاهرة المثل باعتباره مسلّمة مشتركة بين مجموعة لغويّة ما. ثمّ انتقلت إلى عرض مفهوم السّلم الحجاجي عند التّداوليين، وتطرّقت كذلك إلى قوانين السّلم الحجاجي وأهميّتها في تحديد تراتبيّة الحجج، اعتمادً على عدّة مفاهيم يقوم عليها السّلم الحجاجي مثل: الحجّة، والنّتيجة والتوجيه والقيمة الحجاحيّة والفئة الحجاجيّة والقسم الحجاجي... ولقد طبّقت على نماذج حوارية تمثّل لسلميّة الحجج وقوانين السّلم الحجاجي الثّلاث.

أمّا عن الفعل الكلامي فقد رصدناهُ عند " **أوزوالد ديكرو**" الّذي أخذه عن أستاذه "**أوستين**" و"**سيرل**"، فأضاف فعلين لغويين فعل الحجاج وفعل الاقتضاء، وأعاد تعريف الإنجاز. وقد ركّزنا على إنجازيّة اللّغة في بعدها التّداولي المجسّد في ملفوظات الفعل والإنجاز والسّياق؛ فكلّ ملفوظ يعدّ فعلا حجاجيّا أي أنّه نشاط يتوسّل بأفعال قولية إلى أفعال إنجازيّة، ويهدف إلى تحقيق غايات تأثيريّة تخصّ ردود فعل المتلقّي، كما طرحت الاقتضاء بوصفه عملا لغوي يقتضيه المتكلذم بما هو منجز في المقامات التّواصليّة ولم يسع _باستثناء مقاربة التّداوليّة المدمجة وإن بكيفيّة أقلّ_ إلى البحث عن أسس لغويّة تُرجع المنجز إلى النّظام. لذا درسنا علاقة الاقتضاء بالمكوّنات الدّلالية للقول، وكذا علاقته بالمقام والمتلقّي

وختمنا بحثنا بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج التّي توصّلت إليها دراستنا من خلال هذا البحث.

ورغم أهميّة الموضوع إلّا أنّه لم يحظ بمحاولات وافيّة ومعمّقة _لحدّ الآن_ من الدّراسات العربيّة المعاصرة سواءً في جانبها النّظري أو التّطبيقي _مجال تحليل الخطاب_ فقليلة هي

الدّراسات في هذا الميدان، وإن وُجدت كانت موجزة ومقتضبة. نذكر منها: كتابي **أبو بكر العزّاوي** "**اللّغة والحجاج**" **والخطاب والحجاج**"، بعض المقالات من" **نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود**"، وبعض المقالات المجموعة في أربعة أجزاء تحت عنوان "**الحجاج مفهومه ومجالاته من إعداد وتقديم حافظ علوي**". وكتاب "**العوامل الحجاجية في اللغة العربية لعزّ الدين النّاجح**"، وغيرها من الدّراسات الأخرى. ولا يحقّ لي أن أنكر استفادتي–خاصّة في الجانب التّطبيقي– من خلال اطّلاعي على كلّ هذه الدّراسات وغيرها لأخذ فكرة عن كيفيّة التّطبيق، إذ نجد القلّة فقط من خاضت في هذا النّمط من الحجاج (**الحجاج اللّغوي**)، وخصّت موضوع دراستها على مفهوم حجاجي واحد؛ ومن مثل ذلك: مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر والمعنونة بـ: "**الرّوابط والعوامل الحجاجية في ديوان: أمل دنقل**" (**٢٠١٨/٢٠١٧**) **لزينب نمر**، وكذلك أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: "**السّلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية**" **لبوسلاح فايزة (٢٠١٥/٢٠١٤)**، ومذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير من إعداد "**عبد السّلام بوفار**" معنونة بـ: "**الرّوابط والعوامل الحجاجية عند الجاحظ**" . وهذه أهمّ _وكلّ_ الدّراسات التّي اطّلعت عليها وكانت عونًا لي في بحثي، أمّا بخصوص المدوّنة فلم أجد _فيما اطّلعت عليه_ دراسة مستقلّة متفرّدة حولها، لا من جانب موضوع بحثي، ولا من خلال مواضيع أخرى طُبّقت عليها _على حسب ظني_ مازال هذا النوع من الحجاج لم يطبّق بعد على الخطابات المنطوقة، وبهذا تعدّ دراستنا دراسة بِكر في هذا المجال.

ولا شكّ أنّ البحث يستند ويعوّل على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: "**القرآن الكريم**" ومدوّنة البحث "**مسلسل ربيع قرطبة**"، أمّا المراجع المهمّة في الدّراسات المعاصرة الّتي تناولت موضوع الحجاج أبرزها: "**اللّغة والحجاج** " و" **والخطاب والحجاج**" **لأبي بكر العزّاوي**، وكتب **طه عبد الرّحمان** والمتمثّلة في "**اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي**" و"**أصول الحوار والتطوير العقلي**"؛ التّي انبت على المزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي، وكتاب "**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**" لمجموعة من الأساتذة تحت إشراف حمّادي صمود، و"**القاموس الموسوعي للتداولية** " **لموشلر وآن ريبول**. وكذلك كتاب" **استراتيجيات الخطاب**" **لعبد الهادي بن ظافر الشّهري**، ومجموعة من

المقالات عن الحجاج ضمن مؤلّف: "**الحجاج؛ مفهومه ومجالاته**"، **إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي**.

ولعلّ ما تقدّم يشير إشارة واضحة إلى أنّ السّير في درب هذا البحث هو سير في طريقٍ وعرٍ لم تعبّد مسالكه، ولم تمهّد سبله؛ فالباحث هنا يقف وجها لوجه إزاء حقبة من التّاريخ الإسلامي الأندلسي. فأمكن لنا إدراك ما ينبغي بذله من مشقّة وجَهد في إقامة هذا البحث على سوقه والبلوغ به إلى الغاية المرضيّة. ولم تغب عنّي _منذ الخطوات الأولى للبحث_ تلك الصّعوبات، ولم يخف عليّ ضعف أهليتي، وقلّة حيلتي بما يتطلّبه بحث كهذا من معرفة دقيقة ودراية متمحّصة بتفاصيل العمل الدّرامي، كي يسهل علينا فهم وإدراك الحوارات الواردة داخله.

ضف إلى ذلك حداثة النّظرية الحجاجيّة عند الغرب، وكذلك جدّة هذا الدّرس الحجاجي في العالم العربي _خاصّة في المجال التّطبيقي على النّصوص _ أدّى إلى قلّة المراجع المتخصّصة في هذا المجال، وندرة الكتب المترجمة للكتب المصادر الغربيّة، وإن وُجدت فهي مباحث قليلة متناثرة، وليست دراسات مستقلّة واضحة؛ وإنّي لأتمعّن الكتاب والكتابين عساني أظفر بمادّة معرفيّة بسيطة تخدم موضوع البحث. ومع ما للدّراسات السّابقة _على قلّتها_ من توجيه للفكرة. إلّا أنّي لم أجد فيها ما يعينني على تناول الفكرة من الزّاوية التّي سلّطتُ عليها الضّوء في بحثي، وهي تداوليّة الحجاج في الحوار الدّرامي. وما زاد الأمر تعقيدا غياب الاستقرار المصطلحي والمفاهيمي في الدّرسين التّداولي والحجاجي لدى العرب وهذا ما جعلني أحتاط بالحذر الشّديد في استعمالهما. ومع كلّ هذه العراقيل كنت أعزّي نفسي _ومازلتُ أفعل_ بوعد ربّنا كلّ من حاول الوصول إلى النّجاح بدأبٍ واجتهادٍ، وكما جاء في قوله **تعالى** ﴿ **والّذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبَلَنَا وإنّ الله لَمَع المُحْسِنين** ﴾**(العنكبوت: الآية٦٩)**.

ومن شرف البحث العلمي أنّه لا يأتي طوعًا بل ينقاد مكابدة وكرهًا؛ فقد وجدت فيه متعة ولذّة في تتبّع الفكرة وهي تنمو وتتطوّر في بطون ورقاته. وكم كانت هذه المتعة تزداد مع كلّ إكمال عنصر واستنتاج فكرة أو دعم حجّة. وما أبهى تلك السّويعات الّتي كنت أقضيها وأنا

أستمتع بحوارات المسلسل المفعمة بكلّ أساليب الفصاحة والبيان من جهة، وحلاوة التّحليل والقراءة والشّرح للكشف عن الأبعاد التّداولية والحجاجيّة.

وبعد شكر الله وبحمده والثّناء عليه، فإنّ الفضل لأصله عائد والشّكر لأهله واجب، أتقدّم بالشّكر الجزيل والتّقدير الكبير إلى أستاذي الدّكتور "**الحاج موساوي**" اعترافًا بفضله وتوجيهه لي، وإيمانا بأياديه السّابغة على رعاية هذا البحث، وتقويم اعوجاجه ودفع نقائصه. فجزاه الله عليّ خير الجزاء ومتّعه بقوّته وبصره، وأجزل له المثوبة في الدّنيا والآخرة. كما أثني بالشّكر الجزيل كلّ أساتذة مشواري الجامعي، وأخصّ بالذّكر الأستاذ "**عبد الحميد عمروش**" والأستاذ "**رزيق بوزغاية**" والأستاذة المحترمة "**فطّومة لحمادي**" والأستاذ "**نور الدّين بعلوج**" الّذين كان لهم _بعد الله تعالى _ الفضل في وصولي لما أنا عليه الآن، وأمنح كلّ الودّ والشّكر إلى كلّ من أعانني في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيّبة حتّى استوى على سوقه، وآمل أنّي قد حقّقت فيه ما كنت أصبو إليه، وأرجو أن يكون فيه من النّفع والإفادة ما يضيف الجديد إلى ميدان الدّراسات التّداوليّة المعاصرة، ولا يفوتني أن أتقدّم بجزيل شكري وتقديري للجنة المناقشة، التّي تكلّفت مشقّة قراءة البحث وشرّفتني بقبول مناقشة بحثي وتصويب فكرته، وتسديد منهجه وتصحيح خطئه، وإقالة عثرته، وتجشّمت عناء حضور مناقشته، فجزاهم الله خيرا وبارك فيهم.

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت والله أنيب

والحمد لله الهادي إلى سواء السّبيل.

مدخـــــــل مفاهيمـــــي

"إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا, فلأنّ هذا الاستعمال تقليد عربيٌّ أصيلٌ في صيغة التّكلم من صيغ الكلام, ثمّ لأنّه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي والتّأليف الأكاديمي فضلًا على أنّه يفيد معنى " المشاركة " و" القرب" إذ يجعل المتكلّم ناطقًا باسمه وباسم غيره, ولا غير أقرب إليه من المخاطَب, حتى كأنّ هذا المخاطَب عالِمٌ بما يخبرهُ به المتكلّم ومشاركٌ له فيه, فيكون ضمير الجمع, من هذه الجهة, أبلغ في الدّلالة على التّأدب والتّواضع من صيغة المفرد ولا دلالة له إطلاقًا على تعظيم الذّات ولا على الإعجاب بالنّفس ".[1]

[1] عبد الرحمان طه: اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي, المركز الثّقافي العربي, ط1: 1998, الدّار البيضاء (المغرب), [د ت], ص 13.

شَهِد الدّرس اللّغوي عدّة تطوّرات وتحوّلات منذ القرون الأخيرة، إذْ تعاقبت النّظريات وتباينت الإتّجاهات، فمنهم من أوْلى دراسته بالجانب الشّكلي للّغة؛ أي بمستوياتها التّي تحكم نظامها الدّاخلي, وحصَر وظيفتها في النّقل والإخبار وبهذا تكون اللّغة مجرد نظام من الرّموز. ومنهم من ركّز على دراسة الجوانب اللّغويّة متجاوزًا ذلك إلى الجوانب الغير لغويّة, وجعل وظيفة اللّغة التّواصل وأداة إنجاز وتأثير في الواقع.

ورغم هذا الإختلاف لايبدو تعارض هذين الإتّجاهين _الشّكلي والتّواصلي_ إذ يكمّل أحدهما الآخر وهذا ما يشير إليه "**محمود نخلة**" بقوله: « إنّ الإتّجاهين في مدى النّظر متكاملان في دراسة الظّاهرة اللّغويّة؛ إذ ليس من الممكن دراسة الإستخدام اللّغوي دون معرفة بالنّظام, وليس من الممكن أن تظل دراسة النّظام اللّغوي معلقة في فراغ ».[1] فالدّرس اللّساني لم يبق ساكنا, بل أخذ ينمو ويُضاف إليه الجديد ليفرز تيارات لسانية أخرى منها التّيار التّداولي الّذي نشأ في ظلّ هذا الدّرس والّذي أخذ منه وأضاف إليه[*]. كما استمرّ أيضا هذا التّيار التّداولي في تطوير أفكار, وبسط آرائه وهذا ما جعل التّداولية تتخذ أشكالًا مختلفة لتصبح تداوليات متعدّدة وما أومأ إليه "**حافظ اسماعيل علوي**" يدلّ على ذلك إذ يقول: « إنّ التّداوليات مقاربة وجدت لبدايتها منشأ في حضن فلسفة اللّغة العاديّة, هذا التّيار الفلسفي الّذي نشّأ مع روّاد الفلسفة والمنطق... الذّين حاولوا بناء نموذج يعتمد في دراسته أوّلًا على شروط صدق التّعابير المرتبطة بالمقام, نحو بناء نظريّة عامّة للفعل أبرز معالمها بوضوح " **أوستين Austin وسورل Searel** " كما أمكن للتّداوليات أن تجد بوادر قيامها في تأمّلات بعض الباحثين, الذّين اهتموا منذ أمد بعيد بآثار الخطاب في المتخاطبين, ومن

---

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر, دار المعرفة الجامعية, دط, الاسكندرية (مصر), 2002م, ص 58.

[*] أفرزت المعرفة نظريات ومفاهيم لغويّة متباينة في الأسس المعرفية, انبثقت منها تيارات لسانية جديدة منها التّيار التّداولي, وهو مذهب لساني يدرس علاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه, وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللّغوية بنجاح, والسّياقات والطبقات المقاميّة المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب, والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصليّة, واضحة ناجحة, والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللّغات الطّبيعية...., (مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب, دار الطليعة للطباعة والنّشر, ط1: 2005م, بيروت (لبنان), دت, ص 5).

هؤلاء الباحثين سوسيولوجيّون ومحلّلون نفسانيّون, متخصّصون في البلاغة ولسانيّوا تحليل الخطاب مثل " **أنسكومبر Anscombre وبيرلمان Perlman و دكرو Ducrot وأوريكيوبي Orecchioni**" ».[1]

فالتّداولية حقل معرفيّ متعدّد المشارب ومُلتقى العديد من العلوم, يهتمّ بدراسة اللّغة في سياقات استعمالاتها بغية الوصول لقصد المتكلم ومعنى كلامه في السّياق.[*]

لا فكاك الآن من صرف النّظر عن النّظريات التّي انبثقت من التّيار التّداولي إثر تطوّره الّذي مرّ بدرجات ثلاث يتّفق في اهتمامه بالسّياق ويختلف في كيفيّة تفعيله وتوظيفه. ونجملها في ما يلي: [2]

أولًا: التّداولية الخطّية:[*] وهي تيّار منطقي قائم على تصوّر خطّي للعلاقة بين التّركيب والدّلالة والتّداول؛ يُعنى الأوّل بقواعد التّوليف بين المكوّنات اللّغويّة لتحديد نحويتها. والثّانية

---

[1] عبد السّلام إسماعيلي علوي: « ما التّداوليات؟ », من كتاب التّداوليات علم استعمال اللّغة, عالم الكتب الحديث, ط2: 2014م, إربد (الأردن), [دت], ص 17.

[*] يذهب براون ويول إلى أنّ محلّل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الإعتبار السّياق الّذي يظهر فيه الخطاب (والسّياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب المستمع/القارئ والزّمان والمكان) لأنّه يؤدي دورًا فعّالاً في تأويل الخطاب (محمد خطابي: لسانيات النّص, المركز الثقافي العربي, ط1: 1991م, الدّار البيضاء (المغرب), [دت], ص 52).

[2] ينظر: شكري المبخوت:" نظريّة الحجاج في اللّغة"، من كتاب أهمّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، كليّة الآداب منوبة، دط, تونس، [دت]، ص353.

[*] المنظور الخطي الّذي طبع التّحليلات اللّسانية السّابقة، حيث يجري الفصل بين مكون تركيبي يركز على قواعد تركيب الجمل, ومكون دلالي يسهر على ضبط علاقة العلامة بمرجعها, ومكون تداولي يهتم بقضايا الإستعمال اللّغوي, على نحو ما يوضح الشّكل أسفله:

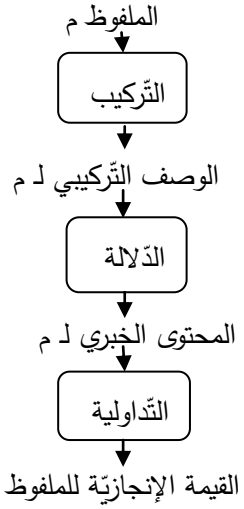

تُعنى بالعلاقات بين العلامات ومراجعها والحكم على الجملة بالصّدق أو الكذب, والثّالث يعنى باستعمال الجمل في التخّاطب للبحث في مدى مناسبتها للمقام أو خروجها عن الموضوع, وتحديد العمل القولي المتحقّق هل تجيز ظروف التّخاطب إنجازه؟ وما التّأثير الّذي يسعى إليه المتكلّم من خلال ذلك القول؟.

ثانيا: التّداولية المدمجة ذات الشّكل (Y).

في إطار هذه النّظرية لا وجود لمعالجة خطيّة للقول _تعارض التّصور السّابق_ بل يوجد جمع بين المعلومات اللّغويّة (المنتمية إلى المكوّن اللّغوي) والغير لغويّة (المنتمية إلى المكوّن البلاغي). إذ ينتج عن الجمع بين دلالة الجملة والمعلومات الغير لغويّة معنى القول الّذي هو حصيلة المكوّن البلاغي ويمثل لهذا الضّرب من النّظريات بخطاطة ذات الشّكل Y (تأتّت هذه العبارة من عند "**بروندونز**" [*]).[1]

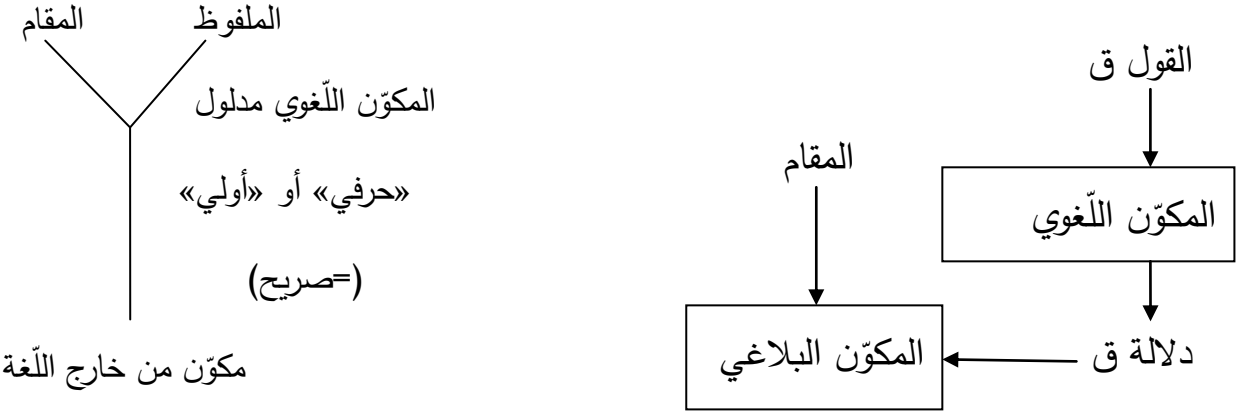

دلالات التّلفظ «الضّمنيّة»

(جواد ختام: التّداولية أصولها وإتجاهاتها, دار كنوز المعرفة, ط1: 2016م, عمان, [دت], ص 132).

[*] حسب "بروندونر" التّداولية المدمجة تجمع بين لسانيات اللّغة على نحو ما هو عند "دي سوسير" من ناحية, وبين عناصر المقام ومعطياته من ناحية. وذلك وفق هذا الرّسم ذا الشّكل الشّبيه بحرف «Y» اللاتيني الّذي اعتبره « بروندونر» المحور الّذي قد تدور عليه معظم الدّرسات الدّلالية الحديثة ودراسة أعمال الكلام, ومدار الدّراسة الحجاجيّة كذلك. (وهذا الذي يهمنا).

Alain Berrondonner, eléments de pragmatique lingustique, éditions de minuit, paris, 1981, p 11.

نقلا عن: ينظر: عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2: 2007م، بيروت (لبنان)، [دت], ص 37, 38.

[1] ينظر: جال موشلر و آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية, تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدّين المجدوب, دار سيناترا, دط, تونس, [دت], ص 42, 43.

وهذه النّظريّة هي التّي انبثقت عنها « **نظريّة الحجاج في اللّغة**», هي التّي تشكّل موضوعًا لبحثنا.

ثالثا: نظريّة التّداوليّة العرفانيّة: ويمثّل هذا التّيار "**سبربر**" **Sperber** و"**ولسون**" **Wilson** في الثّمانينات، وهذا التّيار يفترض أنّ العمليّات المتّصلة بتحليل الأقوال تحليلًا تداوليًّا ليست موضوعة خصّيصًا للنّظام اللّغوي, وإنّما تتعلّق بالمستوى المركزي للفكر. وإذا كانت التّداوليّة المدمجة لا صدقية لأنّها تهدف إلى إبراز الفرق بين اللّغة الطّبيعيّة واللّغة الصّوريّة, فإنّ التّداوليّة العرفانيّة نظريّة تقوم على شروط الصّدق, إذ لا تقتصر المظاهر الصّدقية للأقوال على الدّلالة.[1]

ولنا أن نكشف في هذا الصّدد عن نظريّة «**الحجاج في اللّغة**» " **لأوزفالد ديكرو**" O.Ducrot **و**"**جون كلود أنسكومبر**" Anscomber باعتبارها نظريّة حديثة ذات طرح جوهري وهو:« أنّنا نتكلم عامّة بقصد التّأثير».[2] حيث يعدّ الحجاج* وفق نظريّة " **التّداوليّة المدمجة** " ** ظاهرة لسانيّة متجذّرة في بنية اللّغة نفسها تدمج بين الدّلالة والتّداوليّة. وهذا هو محطّ دراستنا في البحث, لذلك عقدنا مدخلا لتحديد أهمّ المصطلحات والمفاهيم الواردة في عنوان الدّراسة الموسومة بـ: " **تداوليّة الحجاج في الحوار الدّرامي مسلسل ربيع قرطبة _أنموذجًا_**".

---

[1] ينظر: المرجع السّابق نفسه, ص 83, 84.

[2] أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج, الأحمدية, ط1: 2006م, الدّار البيضاء, 2006م, ص 8.

* يقول" أبو الوليد الباجي" في منهاجه مُوضّحا أهميّة الحجاج وحاجة النّاس إليه قائلا: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا و أعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال؛ ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجّة، ولا عُلم الصّحيح من السّقيم ولا المُعوج من المستقيم". (أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التّركي، دار العرب الإسلامي، ط2: 1087م، [دت]، ص 8).

** يذهب ديكرو إلى أنّ موضوع التّداولية المدمجة ليس الحجاج بالمعنى العادي, وإنّما الحجاج بالمعنى الفنّي؛ أمّا الأوّل فهو مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبّله من مثل بيرلمان، والثّاني يعني صنفا مخصوصًا من العلاقات بين المضامين الدّلالية تتحقّق في الخطاب وتكون مسّجلة في اللّسان. (ينظر: جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية, ص 92, 93).

1_التّداولية: La pragmatique

تشغلُ الأبحاث التّداولية كثيرًا من الباحثين لما تطرحه من حلول لقضايا بقتْ عالِقة وعجز عن حلّها غيرها، فهي فضاء مفتوح على مجموعة من العلوم والمعارف الإنسانية المرتبطة بعدّة أصول انبثقت عنها كالفلسفة والسّيمياء وعلم الاتصال وغيرهم.

فقد اتّخذت لنفسها موقعًا بين الأبحاث اللّسانية، وبعدما كانت تُعرَف بسلّة المهملات[*] أصبحت تتصدّر مشهد الدّراسات اللّغوية الحديثة هذا لإلمامها بجميع أقطاب العملية التّواصليّة وعزوفها عن مبدأ عدم النّظر فيما هو خارج عن اللّغة الّذي اعتمدته مدارس لغويّة سابقة, فما عزفت عنه تلك المدارس جعلت منه التّداوليّة موضوعًا لها وركّزت عليه؛ فاهتمّت بالمتكلّم ومقاصده وأوْلت أهميّة للظّروف المحيطة بالعمليّة التّلفظية, وركّزت على المتلقي في سبيل الوصول إلى المعنى الّذي قصده المتكلّم حيث حلّلت المنجز اللّغوي كإنتاج لا ينفصل عن الموقف الّذي تحقّق فيه.

وقبل تحديد مفهوم التّداولية اصطلاحًا لا بُدّ من الإلمام أوّلًا بتعريفها لغة, فيتَبيّن لنا أنّ المادّة اللّغوية **(د و ل)** من التّداول, والتّداول تفاعلٌ, وكلّ تفاعلٌ يَلزمهُ طرفان سامع أو مستمع. فمدار اشتغال التّداولية هو مقاصد وغايات المتكلّم وكيفيّة تبليغها للمستمع أو المتلقي.[1]

وعليه فإنّ هذين المعنيين المرتبطين بالدّلالة اللّغويّة للفظة التّداوليّة (التّداول, التّفاعل) وذلك المفهوم الّذي يعني تحقّقه في أيّ خطاب لغوي توافرت فيه جميع أطراف العملية التّواصلية (مخاطِب, مخاطَب, خطاب, زمان ومكان التّخاطب).

وإذا تتبّعنا الاستخدام الاصطلاحي لهذه المفردة فإنّنا نجد أنّ هذا الاستخدام له علاقة بالأصل اللّغوي, وهذا ما جاء به "**طه عبد الرّحمان**" في سياق شرحه للتّداول أنّه وصف لكل

---

[*] هناك من يرفض اعتبار التّداولية سلّة مهملات اللّسانيات ومن بينهم مسعود صحراوي ومعنى ذلك أنّ الظّواهر التّي تدرسها التّداوليّة ليست مهملة أو متروكة بالضّرورة, ومن ثمّ فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التّواصل اللّغوي. (مسعود صحراوي: التّداوليّة عند العلماء العرب، ص 27).

[1] ينظر: بهاء الدّين محمد مزيد: تبسيط التّداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط1: 2010م، القاهرة (مصر)، [دت]، ص 18.

مظاهر التّواصل والتّفاعل متى تعلّق بالممارسة التّراثية ومجال السّياق هذه الممارسة وصف لكل نطاق زمني ومكاني أدّى لحصول التّواصل والتّفاعل. [1]

والمُلاحظ أنّ المعنيين (اللّغوي والاصطلاحي) اتّفقا على أنْ تكون المداولة بين طرفين أو أكثر ويحوما على معنى التّفاعل والتّواصل والتّداول والانتقال.

أمّا عن تعريفات التّداولية [*] **pragmatique / pragmatica** اصطلاحًا، فلقد تعدّدت واختلفت تبعا لخلفيّات الباحثين والعلوم الّتي تناولتها، إذ ينمُّ هذا التّعدد عن تعدّد الأصول والمشارب. يعرّفها "**طه عبد الرّحمان**" عند تقسيمه للّسانيات جاعلًا منها ثلاث أقسام على النحو التالي:[2]

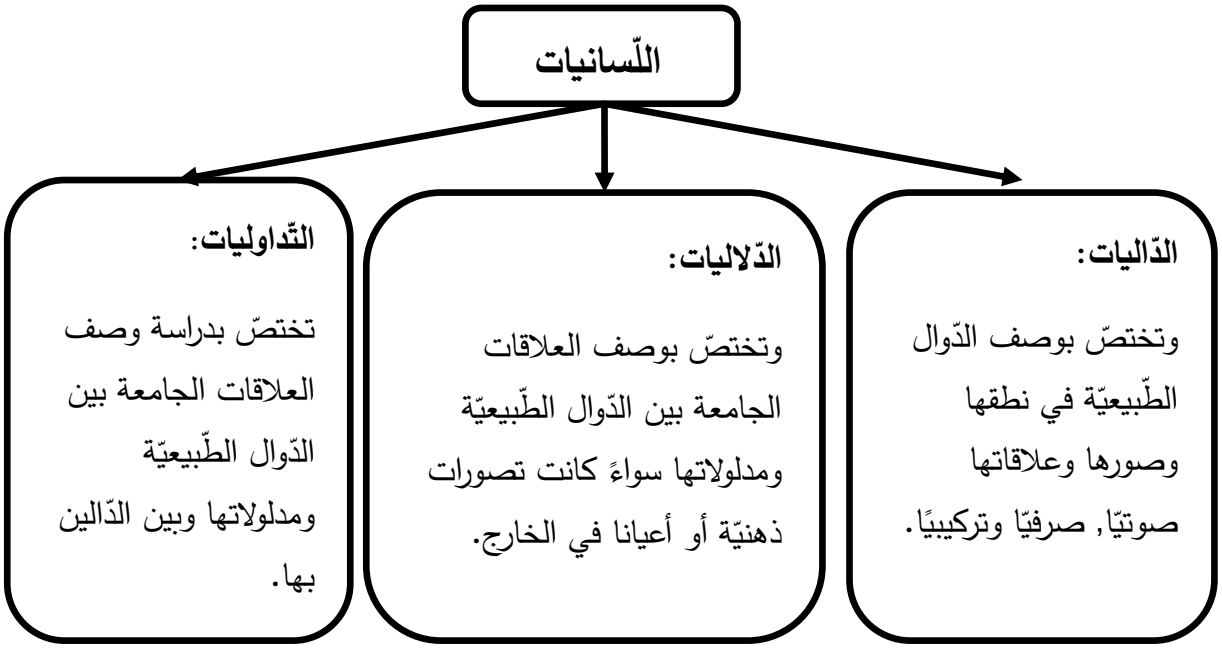

[1] ينظر: عبد الرّحمان طه: تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي, ط2, الدّار البيضاء (المغرب), [دت], ص244.

[*] يعود الفضل للفيلسوف المغربي طه عبد الرّحمان في وضعه المقابل العربي " التّداوليّة " للمصطلح الأجنبي pragmatique عام 1970، كما توجد مقابلات عربية أخرى مثل: الذّرائعية والنّفعية والتّخاطبية والمقاماتيّة والوظائفيّة، إلاّ أقل شهرة من المصطلح الأول. (ينظر: نعمان بوقرة: اللّسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة, عالم الكتب الحديث, ط1, إربد, 2000م, ص161.)

[2] ينظر: عبد الرّحمان طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام, المركز الثّقافي العربي, ط2: 2000م, الدّار البيضاء(المغرب), [دت]، ص28.

نخْلصُ من هذا الأخير إلى أنّ التّداوليات اكتسحت السّاحة اللّغويّة, بفضل ما جاءت به من مستجدّات تمسُّ الجانب التّواصلي للّغة معتمِدة في دراساتها على الدّاليات الّتي اهتمّت بالشّكل, والدّلاليات الّتي اهتمّت بالمادّة (المعنى), متجاوزة ذلك إلى ردِّ الاعتبار لمستعملي تلك العلامات, وإدخال البعد التّداولي وكذا التّركيز على الاستعمال اللّغوي بدل المستويات اللّغوية.

وقد استخدم " **تشارلز موريس**" **(Charles Morris)** مصطلح التّداولي **pragmatics** بمفهومه الحديث سنة 1938 دالًّا به على فرع من فروع ثلاثة لعلم العلامات وهي: [1]

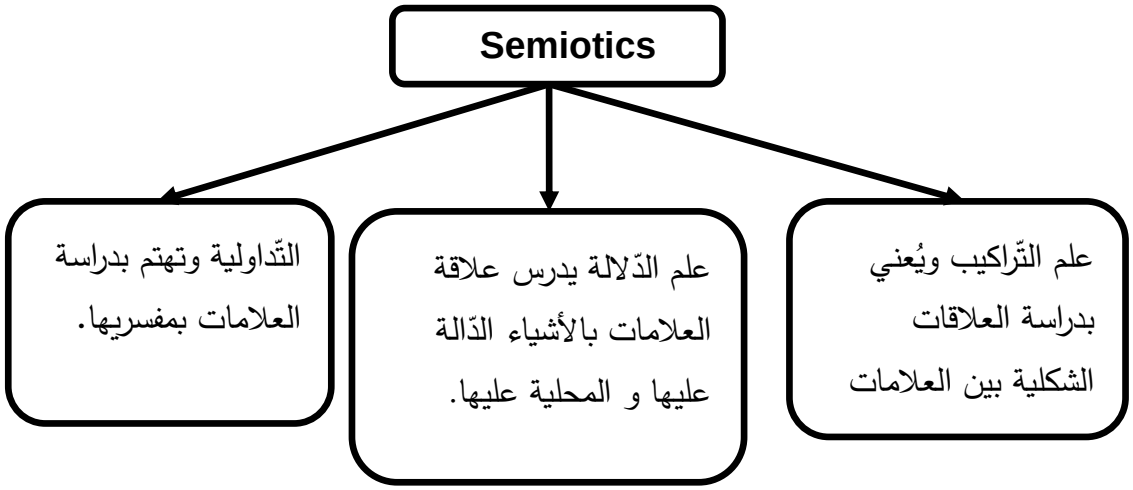

ومن خلال ما وُضِّح نرى أنّ هذا التّقسيم يقابل وبصورة تكادُ تكون مماثلة تقسيم "**طه عبد الرّحمان**" للّسانيات وإن اختلفت المصطلحات وتماثلت المفاهيم، إلّا أنّ الاختلاف يكمن في العلم فقط الّتي تفرعت منه هذه الفروع.

وقد ذكر "**محمود عكاشة** " أنّ من أوائل مَن استعملوا مصطلح التّداولية الفيلسوف الألماني "**إيمانويل كانت**", وقد أخذهُ عنهُ الفيلسوف الأمريكي " **بيرس**" وذلك من خلال قوله: « ذكر بعض الباحثين أنّ الفيلسوف والمنطقي والرياضي " **تشالز ساندرس بيرس** " **(Charles Sanders peirce)** (1839-1914م) أوّل من استخدم البرجماتية **(pragmatics)**, وأنّهُ واضعهُ, والصّواب أنّ "**بيرس**" عرف مصطلح البراجماتية من دراسة

(1) Levinson, S.C. (1983): Pragmatics. Cambridge University Press. p: 1.

نقلا عن: ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر, ص 9.

أعمال الفلاسفة التّجريبيين والفيلسوف الألماني " **إيمانويل كانت**"(**Emmanuel Kant**) (1724-1854) الذي جمع بين معطيات المنهج العقلي والمنهج التّجريبي, وهو يميز بين البراغماتي **pragmatics** والعملي **partical**, وقد كان المصطلح مستخدما قبله في الفلسفة الواقعية, وقد ذكره "**بيرس**" في مراجعته آراء الفلاسفة, وهذا لا ينفي أنّهُ أول من استخدام [*] (**Pragmatics**) في علم اللّسان.» [1]

يُستنتَج أنّ الفيلسوف الأمريكي "**بيرس**" أخذ الفكرة والمصطلح عن الفيلسوف "**كانت**" وطوّرهما إلى ما يعرف اليوم بالفلسفة البراغماتيّة والّتي تُعدّ أساس اللّسانيات التّداولية.

أمّا أحدث تعريف لها ما جاء بهِ "**جاك موشلر**" (**Jacques Moeshler**) وزوجه (**Anne Reboul**) في قاموسهما الموسوعي للتّداولية بأنّها دراسة استعمال النّظام الّذي يقابل النّظام. في إطار حديثه عن الاختلاف القائم بين التّركيب والدّلالة من جهة والتّداولية من جهة أخرى. فالنّظام متكوّن من تركيب ودلالة؛ الأوّل يولّد الصّور السّطحية التّي تنتجها قواعد الصّياغة الحسنة, والثّانية تولّد صورة منطقية بواسطة قواعد التّأليف وهذا ما ينتج دلالة الجملة أي معنى القول. ودور التّداولية إتمام الدّلالة اللّسانية, ومهمّتها تقديم تأويل للجملة الخاضع لقوانين الخطاب.[2]

نستنشفُ من خلال ما تَقدّمَ ذكرهُ أنّ موضوع التّداولية دراسة استعمال النّظام اللّغوي المقابل للنّظام اللّساني والّذي يُعدُّ من شأنِ اللّسانيات بصفة خاصّة. ومن أبرز ما يجمعُ بين كل هاته التّعريفات هو تأكيدها على جانب الإنجاز والتّواصل, ودراسة الإستعمال اللّغوي في مظاهر شتّى مع مراعاة ظروف وملابسات الخطاب.

2-الحجاج: L'argumentation

---

[*] مأخوذة من الاقتباس (استخدام) والصّواب الفعل (استخدم) الذّي يعود على فاعله "بيرس".

[1] محمود عكاشة: النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداوليّة) " دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ", مكتبة الآدب, ط1: 2013م, القاهرة, [دت], ص 10,11,12.

[2] ينظر: جاك موشلر, آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية, ص30.

أحْدثَ الدّرسُ اللّسانيُّ الحديث نقلَةً نَوعيّة وكيفيّة في طرحه قضايا لغوية من منظور يغاير الطّروحات الّتي سبقته. لذا أُعيد النّظر في مفهوم الحجاج الّذي لطالما تعلّقت دراساته بعدّة مجالات معرفيّة شمِلت المنطق والبلاغة, الفلسفة والخطابة وفنُّ المناظرة. فتشعّبُ منابعهِ وتعدّد مشاربه ينمّ على قيمته بوصفه موضوع دراسة, أو وسيلة تأثير وإقناع, أو مهارة بلاغية إمتاعية, أو آليّة تحليل الخطابات والنّصوص, أو أنهُ عمليّة عقليّة منطقيّة بالأساس. فبات الحجاج ضرورة خطابيّة وإستراتجيّة لغويّة مُحمّلة بقصدٍ ما, لها غايات ووظائف مختلفة باختلاف المتكلّم والموقف, ومتنوعة بتنوّع أهدافه ومُتلقيه.

فليس غريبًا إذن, أن نجد الدّراسات التّداولية تهتمُّ بالحجاج وتجعله من أبرز الأساليب الّتي يعتمدها المتكلم لحظة إنجازه خطابًا ما, وعند تشكيله للمعنى وتحكمّه في إتّجاه أقواله ورفعها إلى مستوى حجج تهدف إلى استمالة المتلقي وإقناعه.

ولرصد مفهوم الحجاج اللّغوي نجد أنّ شروحات اللّغويّين تقاربت واتّفقت على أن تكون معاني المادّة اللّغويّة **(ح ج ج)** حاملة لطابع المنازعة والخصومة والقصد والجدل. إلا أنّ تعدّد معانيه لا يعني تباينه وذلك لوجود وجه جامع بينها, وهذا ما ورد في كتاب " **الخطاب والحجاج** " للدّكتور" **أبو بكر العزّاوي**" إذ يقول: « لُغة من حَاجَ يُحَاجُ وهو تقديم الحجج والأدلّة الّتي تؤيّد الدّعوى, ... ويكون مرادفًا أحيانا للجدل ... ويعرّف "**ابن منظور**" الجدل بكونه: "مقابلة الحجّة بالحجّة " ويكون مرادفًا أيضا للنّزاع والخصام كما في قوله تعالى **{ أَلَمْ تَرَ إِلى الّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ }** ولكنّ التّعريف السّائد والمعتمَد للحجاج. يتمثّل في تقديم مجموعة من الحجج والأدلّة التّي تخدم النّتيجة المقصودة الغاية المُتوخَّاة.» [1]

بعد أن عرض" **العزّاوي**" حدُّ الحجاج اللّغوي ربط معانيه بالمفهوم الاصطلاحي لدقّة التّقارب بين المفهومين **(اللّغوي والاصطلاحي)**, فالحجاج تلك العمليّة الجدليّة التّي تكون بين طرفين أو أكثر في موضع نزاع أو خصومة, بحيث يعمدُ كل طرف إلى تقديم حججا

[1] أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج, مؤسسة الرّحاب الحديثة, ط1: 2010م, بيروت (لبنان), 2010م, ص 9.

وبراهينًا داعمة لهُ بقصد الظّفر بالخصم والتّغلب عليهِ. إذ جعله ظاهرة لغويّة موجودة في كل قول وفي كل خطاب. [1]

كما يلزمنا ذكرُ تعريف "**طه عبد الرحمان**" للحجاج في إطار تفصيله وشرحه لدعاوي التّكوثر جاعلا منها ثلاثة أقسام. مُمَهِدًا لكيفيّة وشروط تحقّق كل أشكال النّطق من كلام وخطاب وحجاج مفصّلًا صفة كل شكل. والمخطّط الآتي سيشرح ذلك: [*]

1_أصل تكوثر الكلام هو صفته الخطابيّة: لا كلام بغير خطاب, وينبني على قصدين هما:

التّوجه إلى الغير: لا يكون المنطوق به كلاما. إلّا إذا تحقّق في النّاطق إرادة التّوجيه لمتلقف قصدهُ المُلْقِي ليكون مستمعا, وحتّى يدرك مرتبة المتلقي الّذي هو عبارة عن متلقف قصدهُ المُلقي بفعل إلقائه.

إفهام هذا الغير: لا يكون المنطوق به كلامًا. إلّا إذا تحقّق في النّاطق إرادة إفهام مُلتقط أُفهِم ما فُهمَ ليكون مستمعًا, وحتّى يدرك مرتبة الفاهم الّذي هو عبارة عن مُلتقط قصدهُ المُفهِمُ بفعل إفهامه.

اقتران القصدين معا المنطوق به يصلحُ أن يكون كلاما وهو الّذي ينهضُ بتمام المقتضيات التّواصلية, لما يُسمَّى خطابا, وحَدّهُ أنه منطوق موجهٌ إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا.

2_ أصل التّكوثر الخطاب هو صفته الحجاجيّة: لا خطاب بغير حجاج. فحقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدين التّخاطبيّين قصدين معرفيين وهما:

---

[1] ينظر: المرجع نفسه : ص37.

[*] هذا المخطّط من إعداد الباحث اعتمادً على ما ورد في مدخل الباب الثّاني (الخطاب والحجاج) من كتاب (اللّسان والميزان) لطه عبد الرحمان, ص: 213, 214, 215, 225, 226, 230, 231.

قصد الإدّعاء: لا يكون المنطوق به خطاب حتّى يحصل من النّاطق صريحُ الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدّليل عليه. فيجب على المخاطِب إدراك رُتبة المدّعي الذّي هو عبارة عن مخاطِب ينهض بواجب الاستدلال على قوله.

قصد الاعتراض: لا يكون المنطوق به خطابا حتّى يكون للمنطوق له حقّ مطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدّعيه. فيجب على المخاطَب الارتقاء إلى رُتبة المعترض (المخاطَب) الّذي ينهض بواجب المُطالبة بالدّليل على قول المُدّعي.

اقتران القول المزدوج يتمثّل في تحصيل النّاطق لقصد الإدّعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض, بالإضافة تحصيل الأول لقصد التّوجه إلى الثّاني بقصد إفهامه معنى ما. فيستحقّ أن يكون هذا المنطوق خطابًا يقوم بتمام المقتضيات التّعامليّة لما يُسمّى حجاجًا, وحدّهُ أنّهُ كل منطوق به موجهٌ إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها.

3_ أصل تكوثر الحجاج هو صفته المجازيّة:

لا حجاج يغير مجاز. تقوم ماهيّة الحجاج على قدر من الالتباس في الوظيفة, وتضمّنها إيّاه تميّز طريقه عن طريق البرهان، والالتباس الّذي يقوّمُ الحجاج ليس تعدّد معاني اللّفظ الواحد في الدّليل، إنّما الأصل فيه اعتباران اثنان لا يجتمعان في البرهان (اعتبار الواقع واعتبار القيمة).

حيث ينبني البرهان على مبدأ الاستدلال أي على حقائق الأشياء مُجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد. وعليه فالمستدلّ الحجاجي مُطالب بتحصيل قصدين:

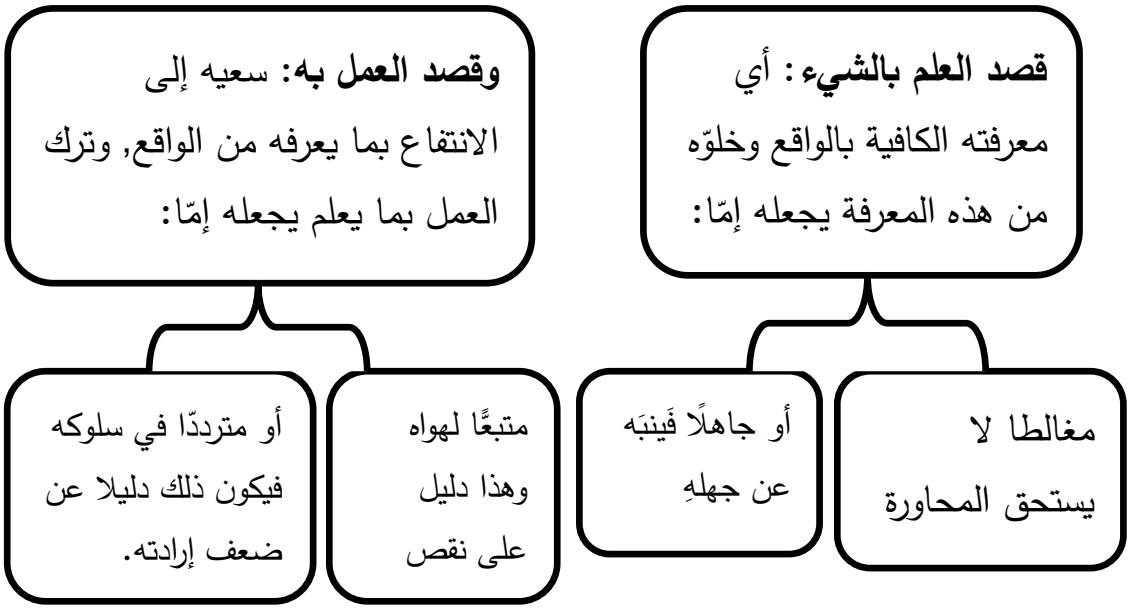

إذن فكلّ منطوق به يتوقّف وصفه بالحجاج, يلزم أن يقترن تحصيل النّاطق:

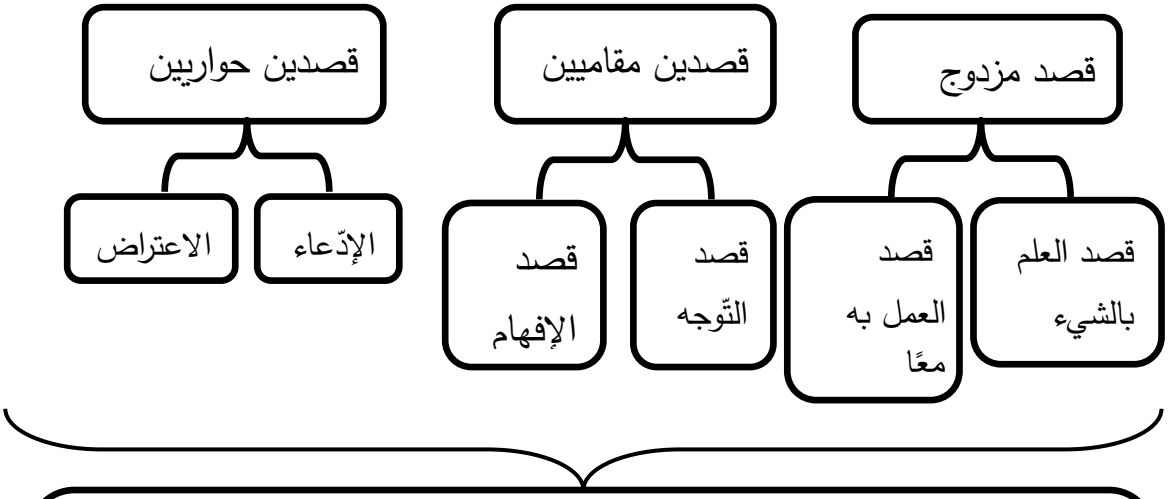

فالمنطوق به يصلح أن يكون حجاجًا يقوم بتمام المقتضيات التّفاعليّة الواجبة في حقّ ما يُسمّى مجاز، وحدّهُ أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها بحسب القيمة التّي تحملها.

مُجمل القول وحاصلهُ من خلال ما تمّ طرحه، أنّ الكلام أصل في كل عمليّة تواصليّة تحقّق فيها قصدَا التّوجيه وإفهام الغير، وأنّ الخطاب أصلٌ في كل عمليّة تعامليّة تحقّق فيها قصدُ الإدّعاء والاعتراض. وأنّ الحجاج أصلٌ في كل عمليّة تفاعليّة تحقّق فيها قصد العلم بالشّيء والعمل به.

فالكلام أصل في كلّ تواصل، والخطاب أصلٌ في كلّ تعامل، والحجاج أصلٌ في كلّ تفاعل. وكلّ واحد من هذه المفاهيم اختصّ للدّلالة على واحدة من العلاقات التّخاطبيّة والاستدلاليّة والمجازيّة فدلَّ الكلام على الأولى، والخطاب على الثّانية والحجاج على الثّالثة، وثلاثتُهم أساس كلّ عمليّة نُطقيّة إنسانيّة، ويتبيّن لنا أنّ الحجاج عندهُ علاقة تخاطبية تُبنى على قصد الإدّعاء؛ ويعني الإيمان والاعتقاد الصّريح فيما يقوله الخطاب، والإستعداد الكاملُ لإقامة الدّليل عليه، فالمخاطِبُ باعتباره مُدَّعِي هو الّذي يقوم بواجب الاستدلال على ما يقول, وقصدُ الاعتراض يكون من المنطوق له (**المخاطَب**) فهو ينهض بواجب المُطالبة بالدّليل على قول المُدّعِي. أمّا المنطوق به فهو خطاب يتوفّر على قصد الإدّعاء والاعتراض والّذي هو في ماهيّته حجاج.

تعدّدت تعريفات الحجاج الاصطلاحيّة واختلفت من دائرة إلى أخرى، وهذا راجع إلى تنوّع مظاهره واستعمالاته، وتباين مرجعياته. فمصطلح الحجاج مرّ بتطوّرات كثيرة في الفكر الغربي انطلاقا من السّوفسطائيين[*] إلى غاية التّداوليين. وما يُهمّنا في الدّراسات اللّغويّة الحديثة تعريف "**شاييم بييرلمان**" (Chaim perelman) " **ولوسي أولبرخت تيتيكا** " (Olbrechts tyteca) لموضوع الحجاج في مصنّفهما "**مُصنّف في الحجاج البلاغة الجديدة**" الّذي نُشر سنة 1958م إذ يقولا:« موضوع نظريّة الحجاج هو درسُ تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدِّي بالاذهان إلى التّسليم بما يعرضْ عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم.»[1] مُؤدَّى هذا القول هو أنّ نقطة ارتكاز الحجاج عندهما هي العقل؛ أي أنّ الحجاج هو استخدام المتكلّم في خطابه مجموعة من التّقنيات والوسائل التّي تقودُ المتلقِي إلى التّسليم أو الزّيادة في درجة ذلك التّسليم.

---

[*] السّوفسطائية (Sophism) كلمة يونانية مشتقة من اللفظة "سفسطة " التي تعني الحكمة والحذق, وأطلقها الفلاسفة على الحكمة والحذق في الخطابة أو الفلسفة, وهي حركة فلسفية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد بأثينا وتقوم على الركائز التّالية: الإقناع بدل البرهان العلمي أو المنطقي واستخدام قوة الخطابة والبيان والبلاغة والحوار والإدراك الحسي والظن. وتعد هذه الحركة شعارً للجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة. (ينظر: عبد اللطيف سلامي: المدخل الى فن المناظرة, داربلومزيري, ط1: 2014م, قطر, [دت], ص 26).

1) Perelman et Tyteca, Traité de l’argumentation, op.cit.,p 5.

نقلا عن: عبد الله صوله: الحجاج في القرآن، ص27.

أمّا مفهوم الحجاج عند " **أوزوالد ديكرو**" **(Aszwal ducrot)** و"**جان كلود أنسكومبر**" **(Jean Claud anscombre)** في نظريّتهما " **الحجاج في اللّغة**" 1973 التّي تهدف إلى دراسة الجوانب الحجاجيّة في اللّغة الطبيعيّة بوسائل لغويّة، يتوفّر عليها المتكلّم بقصد توجيه خطابه وِجهة ما. وتحقيق أهدافه الحجاجيّة انطلاقا من فكرة شائعة مُؤَداها: " أنّنا نتكلم عامّة بقصد التّأثير". [1]

ومعنى ذلك أنّ الوظيفة الحجاجيّة متأصّلة في اللّغة، وتظهر هذه الوظيفة في بُنية الأقوال المتلفَّظ بها. والحجاج كما عرّفاه في كتابهما " **الحجاج في اللّغة** " : « يقوم متكلّم ما بفعل الحجاج عندما يقدّمُ قولا **(ق١)** (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التّسليم بقول آخر **(ق٢)** (أو مجموعة أقوال أخرى).»[2] ومعنى ذلك أنّ اللّغة في ذاتها تحملُ وظيفة حجاجيّة إلى جانب وظائفها الأخرى والتّي تظهر في الأقوال المترابطة والمتتابعة لتكون بدورها حجاجا تُدعِّم وتُسندُ بعضها بعض قصد التّأثير والإقناع. قامت نظريتهما على ثلاثة مبادئ متمثلة فيما يلي: [3]

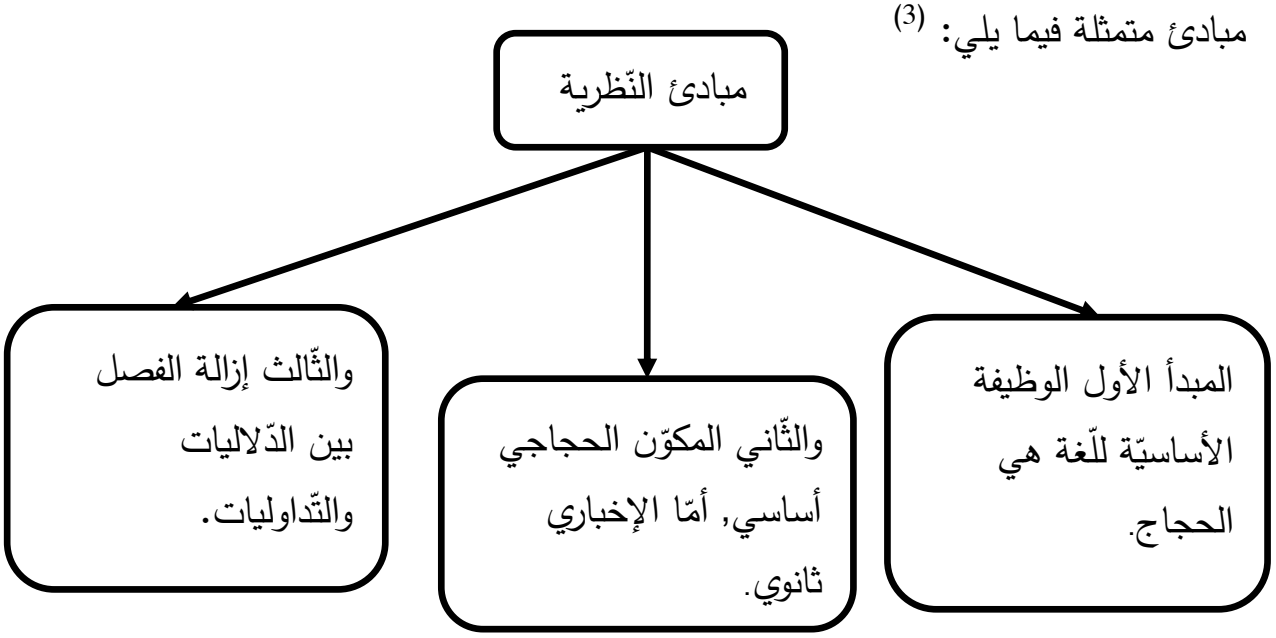

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص 14.

[2] Oswald Ducrot et jean – claude Anscombre: L'argument dons la langue, Pierre Mardaga Editeurs Bruscellesc, 3 ed, 1997, p8.

[3] أبو بكر العزاوي: نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، ع4، الرّباط، 1991م، ص79.

نقلا عن: محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النّص الشّعري، إفريقيا الشّرق، دط، الدّار البيضاء (المغرب)، 2013م، ص 22.

كل هذه المبادئ جوهر نظريّة " **الحجاج في اللّغة**"، فالمبدأين الأوّل والثّاني يفيدان أنّ الوظيفة الأوليّة للّغة هي حجاجيّة قبل أن تكون إخباريّة أو وصفيّة؛ فنحن عادة نتكلّم لنؤثّر ونُقنع، وليس لنُخبر ونَصف وننقل فقط. وعليه فإنّ الحجاج عند أصحاب هذه النّظريّة: « لم يعد نشاطًا لسانيّا من بين أنشطة أخرى، ولكنّه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب.» [1]

في حين أنّ المبدأ الثّالث يقوم على دمج الدّلالة في التّداوليّة والبحث عن بيان الدّلالة التّداوليّة (لا الخبريّة الوصفيّة) المسجّلة في أبنية اللّغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن.[2]

3- تداولية الحجاج:

ممّا لا شكّ فيه هو أنّ التّداوليّة لبست تداوليّة واحدة، بل تداوليات متعدّدة يُوحدّها المنهج التّداولي فقط. وعلى حسب الحقل المعرفي الذّي تختص به يتحدّد نوعها (كتداوليّة السّرد مثلا) تُعنى بتحليل العمليّة السّرديّة من خلال فعل السّرد, وتداوليّة الخطاب تُحلّل الخطابات من خلال فعل التّخاطب بين المتخاطبين, وكذا تداوليّة اللّغة التّي تحلل اللّغة من خلال استعمالاتها، وأيضا تداوليّة السّياق التّي تُعنى بتحليل الخطابات من خلال ما يحيط بها وهكذا...). إذن، تداولية الحجاج واحدة من بين كلّ التّداوليات التّي تسعى لتوصيف العمليّة التّداوليّة من خلال الحجاج. وما نخصّهُ بدراستنا هذه هو معالجة التّداولية في شِقّها الحجاجي اعتمادًا على المنهج التّداولي بآليات متنوّعة.

ولقد أُريدَ من مصطلح " **تداولية الحجاج**" التّخصيص وسلب الخصوص من العموم, وكذا العموم من الخصوص، ومعنى ذلك:

1. الحجاج آلية تُحلّلُ بُنية الأقوال، وترابطها بمقامات تلفظها.

---

[1] صابرة الحباشة: التّداولية والحجاج (مداخل ونصوص), صفحات للدّراسات والنّشر، دط، دمشق(سورية)، 2008م، ص12.

[2] ينظر: شكري المبخوت: " الحجاج في اللّغة"، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 351.

2. رسم حدود معينة للحجاج مع العلوم الأخرى التّي لطالما ارتبطت به.
3. ضبط الحجاج في مجال معرفي واحد (اللّسانيات) وتحديدا اللّسانيات التّداوليّة.
4. حصر التّحليل التّداولي في الحجاج فقط لا في قضاياه الأخرى (أفعال الكلام، الافتراض المسبق، الاستلزام التّخاطبي).

ويَفْرُقُ **الحجاج التّداولي** عن **تداوليّة الحجاج**، بأنه يركّز اهتمامه على الجانب التّداولي للخطاب، بغرض إقناع المخاطَب والّذي يُتيح توجيه الخطاب الحجاجي ويجيب عن تساؤلات وإشكاليات تحيط بالعمليّة التّخاطبيّة والحجاجيّة.[1]

فشأنُهُ شأنُ الأنواع الأخرى؛ فالحجاج الفلسفي مثلا الذّي يتّخذ الفلسفة بُعدًا من أبعاده، وآلية من آلياته، فتقاسُ نجاعته بمعايير خارجيّة كالقوّة والضّعف والكفاءة أو عدمها، والنّجاح أو الفشل في الإقناع.

وكذلك الحجاج البلاغي الذّي يتخذ البلاغة مجالًا وآلية له من خلال توظيف الأساليب البلاغيّة والصّور البيانيّة.[2]

ومن خلال ما طُرح نصل إلى نتائج يُبيّنها الجدول التّالي:

[1] ينظر: هاجر مدقن: تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الاثر، ع5، الجزائر، 2005م، ص 174.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص173.

الحجاج التّداولي	تداوليّة الحجاج
الحجاج نظريّة والأليات تداوليّة. نوع من أنواع الحجاج. يدرس التّداوليّة من منظور حجاجي. يستخدم كلّ الآليات التّداوليّة وعلى اختلافها. يمسّ مجالات معرفيّة أخرى. الحجاج أعمّ من التّداوليّة.	التّداولية نظرية والأليات حجاجيّة. قضيّة من قضايا التّداوليّة. تدرسُ الحجاج من منظور تداولي. يستخدم إلا الأليات الحجاجيّة. لا تخرج عن إطار معرفي واحد (اللّسانيات). التّداوليّة أعم من الحجاج.

وعليه، فإنّ الاختلاف الدّقيق القائم بين **تداوليّة الحجاج** و**الحجاج التّداولي**, لا يعني أنّهما لا يتفقّان في العديد من المسائل والغايات هذا إن لم يكونا الشّيء ذاته عند الكثير من الدّارسين، وهذا ناتِجٌ عن:

أولًا: مكانة الحجاج في الدّراسات اللّسانيّة التّداوليّة, والعناية به انطلاقا من وظيفته الأوليّة في اللّغة، وتأسيسه للمعنى، ثمّ توجيهه تبعا لمقاصد المتكلّم ودوره البارز في التّأثير والإقناع. فالحجاج في نظر "**ديكرو**" و" **أنسكومبر**": « لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، ولكنّه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب.» [1]

ثانيا: العلاقة البارزة بين الحجاج والتّداولية، وذلك واضح من خلال تطوير نظريّة الأفعال اللّغويّة " **لأوستين وسورل** " وتداوليّة "**إ.ينفنست** " والتّي انطلقت من محوريّة التّلفظ في الخطاب، استنادً إلى أنّ حقيقة اللّغة لا وجود لها إلّا عبر التّلفظ، وإذا كان التّلفظ مشروطا بطرفين (المتكلم والسّامع)، فإنّ الخطاب إذًا لا وجود له بغيرهما. واعتبار الحجاج فِعلٌ لسانيٌ بالأساس.[2]

ولقد تناول الباحثون الحجاج من زاويتين:[3]

---

[1] صابر الحباشة: التّداولية والحجاج، ص 18.

[2] ينظر: محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النّص الشّعري, ص 21، 22.

[3] ينظر: يمينة تباتي: الحجاج في رسائل ابن عباد الرّندي، مجلة الخطاب، ع 2، الجزائر،2006م، ص 286.

الأولى: تُعنى بدراسة العلاقة بين المتكلّم والمتلقي، وما تحمله هذه العلاقة من استعمال آليّات الإرسال، ومُراعاة حال المتلقّين.

الثّانية: تَعدُ الحجاج بنية نصيّة، وهنا يتمّ التّركيز على الجوانب اللّغويّة (مفردات، أفعال، ظروف...) التّي لها دور حجاجيّا.

فالتّركيز على الجانب اللّغوي جعل الحجاج يظهر بمظهر تواصلي؛ من خلال ما يؤديه في العمليّة التّواصليّة. إذ أنّه « يأتي كشكل من أشكال التّواصل والتّخاطب والحوار».[1]

وعلى ما يبدو فإنّ **تداوليّة الحجاج** تتعدّى حدود البنية اللّغويّة؛ لتبحث في الأقوال (الحجج), والعلاقة بين المتخاطبين بما في ذلك معرفة المقام الّذي قِيل فيه الكلام. مُحَاوِلةٌ إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيّة إنتاج القول، وتحليل مقاصده وغاياته.

وانطلاقا ممّا سبق ذكره نستحضر ما جاء به "**طه عبد الرحمان**" بخصوص جَعلِ الفَعاليّة الحجاجيّة صفة كل خطاب طبيعي؛ لأنّ الاستدلال في الخطاب الطّبيعي يكون حجاجيّا لا برهانيّا صناعيّا. ولهذا رأى أنّ الحجاج فعاليّة تداوليّة جدليّة، وأعطاه صفتين هما:[2]

[1] عبد السّلام عشير: عندما تواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج)، أفريقيا الشرق، ط٢: ٢٠١٢م، الدار البيضاء (المغرب)، [دت], ص ١٢.

[2] ينظر: عبد الرحمان طه: أصول الحوار وتجديد علم الكلام, ص 65.

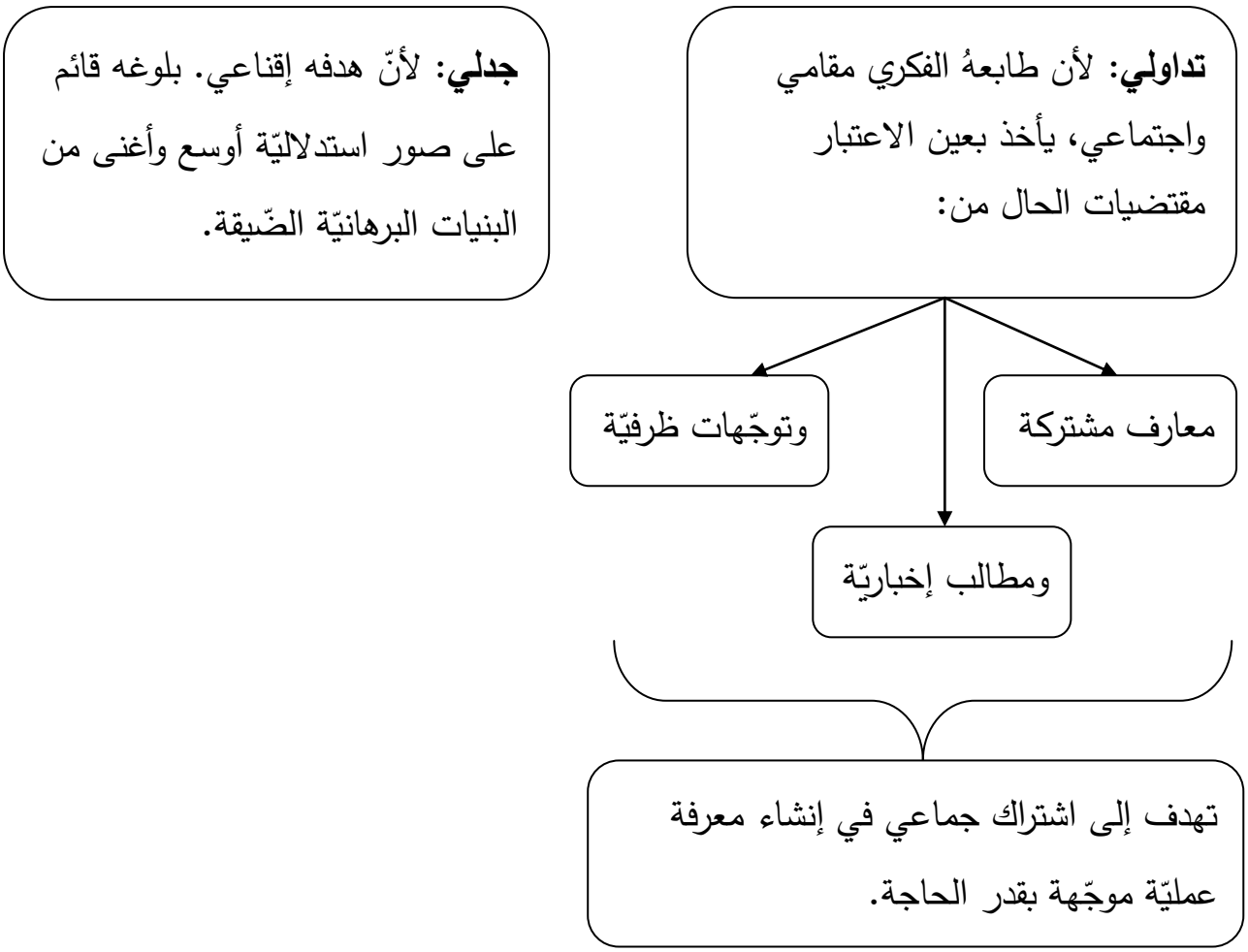

4- الحوار:

يُعَد الحوار[*] أحد الأجهزة اللّغويّة الأساسيّة، حيث ليس ثمّة تعريف متّفق عليه لهذه الأجهزة؛ لأنّها تخضع في تصنيفها لمعايير غير مستقرة، وتتحوّل بدورها إلى معايير تصنيف النّصوص. فقد عدّ الدّارسون خمسة من هذه الأجهزة: السّردي، والوصفي، والتّفسيري، والحواري والحجاجي. والميزة الأساسيّة للنّوعين الأولين هي طبيعة الخبر المنقول. وهذا ما ذكره " **تمام حسان**" نقلا عن "**دي بوغراند**" أنّ الأول يركّز على الحدث، والثّاني يركّز على الأشياء والمواقف، أمّا ما يميز النّصوص الثّلاثة الأخرى في نظر الأستاذ "**رزيق بوزغاية**" طبيعتها الّتي تُستقى من نسقها القضوي؛ أي من طبيعة العلاقة بين القضايا في ثناياها.[1]

---

[*] له أنواع عديدة منه الصّريح، المضمر، الأفقي، العمودي ...الخ، وهو من أهم أشكال التّفاعل اللّفظي، والمجال الطّبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز. (ينظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص ٥٣، ٥٤.)

[1] ينظر: رزيق بوزغاية: قيام السّاعة في القرآن الكريم مدلولية النّص ومرجعيته، بحث مقدّم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللّغويات، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة منتوري (قسنطينة)،٢٠١٢/٢٠١٣، ص٤٨4.

ومن المُستحسن إلقاء نظرة على المعنى اللّغوي لمفردة الحوار قبل التّعرّف على المعنى الإصطلاحي. حيث يرجع أصل الكلمة إلى المادّة اللّغويّة (**ح و ر**): « الحَوْرُ: الرّجوع إلى الشّيء وعنه... وكلّ شيء تغيّر من حال إلى حال. والمُحَاروةُ: مراجعة الكلام. حَاوَرْتُ فُلانًا فالمنطق، وأحَرْتُ إليه جوابًا ... والاسم: الحَوِيرُ. تقول: سمعت حَوِيرهُمَا وحِوارهُما. والمَحْورةُ من المُحاورة، كالمَشوَرة من المُشاورة، وهي مفعَلة. وفي الحديث: « **نعوذ بالله من الحَورِ بعد الكَورِ**». أي: النقصان بعد الزّيادة... ».[1]

وحوصلة تعريف المادّة اللّغويّة (**ح و ر**) نذكرُ أبرزها: التّردد إمّا بالذّات أو الفكر, والتّردد أيضا بعد إقبال، وتعني أيضا تداول الكلام بين طرفين وتبدّله وتغيّره. فالحوار كلمة تعني التّجاوب والمخاطبة لِتُحقّق ما يُسمّى تواصُلا.

أمّا اصطلاحا وكما ورد في قاموس "**المصطلح السّردي**" أنّه: « عرض (دراماتيكي في طبيعته) لتبادل شفاهي بين شخصيتين أو أكثر، وفي الحوار فإنّ كلام الشّخصيات يقدم كما هو مفترض أن يكون بدون لاحقات استفهامية. » [2]

فكما يظهر لابُدَّ في الحوار من وجود مُحَاوِر ومُحاوَر، ولا بدّ فيه كذلك من تبادل للكلام ومراجعته فغايتُه التّجاوب والتّواصل بين طرفين أو أكثر.

وبنفس المفهوم نجده في "**معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة**" أنّه:

1- « تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر.
2- و (الحوار) نمط تواصل: حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص، على الإرسال والتّلقي.»[3]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، ط١: ٢٠٠٢م، بيروت (لبنان)، مج ١، (ح و ر)، [دت], ص ٢٧٠، ٢٧١.

[2] جيرالد برنس: المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثّقافة، ط١: ٢٠٠٣م، القاهرة، [دت], ص ٥٩.

[3] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط١: ١٩٨٥م، بيروت (لبنان)، [دت], ص ٧٨.

بعد التّطرق لمفهوم الحوار في الدّرسين السّردي والأدبي (وهذا لعلاقته بنمط ومجال مدوّنة البحث)، وجب علينا الحديث عنه في نطاق لساني لإبراز علاقته بالحجاج والتّداوليّة كون التّواصل والتّفاعل غاية كل واحد منهم وذلك من خلال المخطط الموالي: [1]

يطرح تحليل الحوار مستويين:

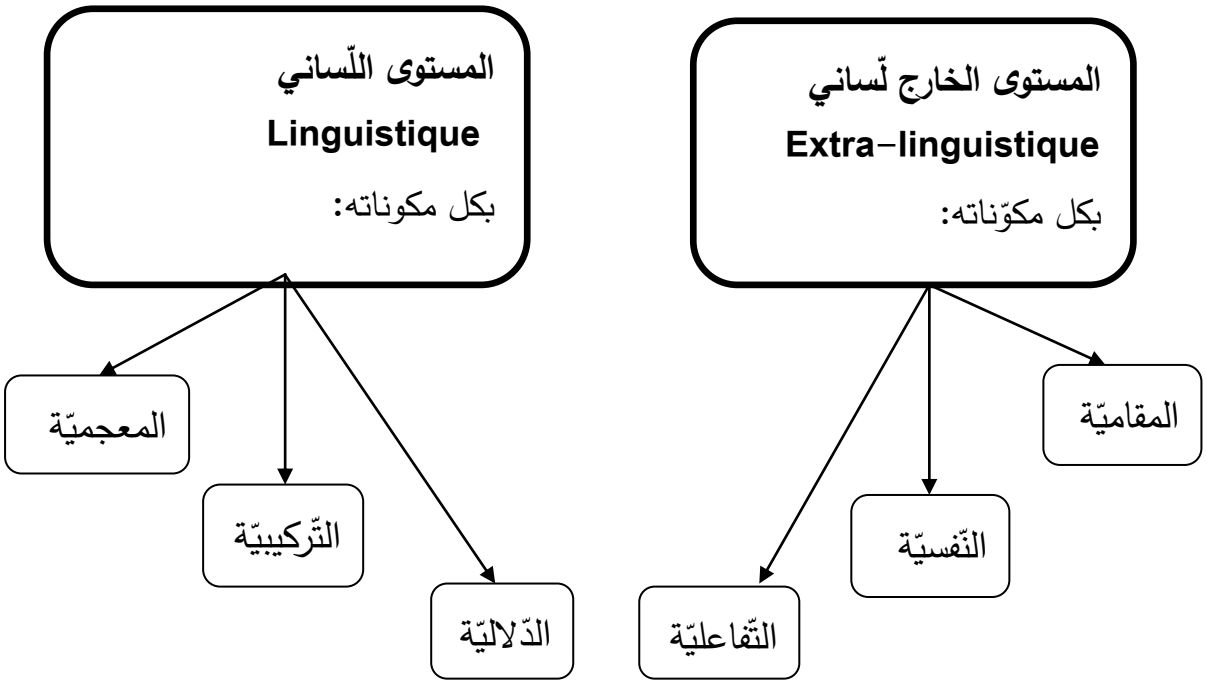

ومن النّاحية العلميّة يتضمّن تفاعلا تواصليًّا يحتضنُ:

[1] ينظر: محمد نظيف: الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي (دراسة تطبيقية في اللّسانيات التّداولية)، أفريقيا الشّرق، دط، الدار البيضاء (المغرب)، ٢٠١٠م، ص ٧، ٨، ٩.

خصائص تواصليّة: تتعدّى التّواصل التّرميزي، لتتبني على مقتضيات التّواصل الاستدلالي الّذي يفرز خصائص تفاعليّة؛ لأنّه مبحث يفحص آليات الحوار، ويسجّل العناصر التّي تتدخّل في مجرياته بما فيها:

- خاصتي الإنتاج والتّأويل التّي تمر منها كل المضامين الحواريّة.
- حالات التّنازع والتّراضي والإجماع حسب البعد الحجاجي بين أطراف الخطاب.
- الكفايات وتعطي دفع لعملية التّفاعل التّواصلي.
- يطرح العنصر المقامي دور المكانة الاجتماعيّة والثّقافيّة والعلميّة لأطراف العمليّة الحواريّة، ومدى مقبوليّة الحجّة.
- المستوى اللّساني والخارج لساني.

خصائص تداولية: مبناها التعدّد السّياقي الذي يميّز الأقوال ممّا يجعل القائلين يتعدّون القصد الإخباري إلى معاني سياقية تداولية تحكم العلاقة بين أطراف الخطاب، وينقسم إلى:

- **سياق تفاعلي:** يمسّ المتحاورون ومضمون الحوار، ليبيّن مدى إدراكهم لموضوع الحوار ومدى انسجامهم مع القضايا المطروحة.
- **سياق مقامي:** بشكل جزء من البواعث الاجتماعيّة الفاعلة في الخطاب الحواري ليُفسّر المضامين الغامضة في الحوار.
- **سياق مرجعي:** يحدّد العلاقة بين العلامات ومراجعها.

يرتبط هذا التّعدّد السّياقي الذّي يؤطّر الحوار بمفهوم تداولي آخر وهو المُلاءمَة (**La pertinence**) التّي تعبّر عن عقد تواصلي بين أطراف العمليّة التّواصليّة يَرُومُ الأخذ بالسّياق كمُعطى تداولي ينصهر في موضوع الحوار. والملاءمة بذلك تهدف إلى تأطير الكفاية الموسوعيّة للمتواصلين حتّى تسير وفق ما يقتضيه المقام، كذلك تنبني على الحجاج الذي يعتبر محرّك مُهم للتّفاعل الحواري باعتبار أنّ التّبادل الحجاجي يهدف للتّأثير على المعتقدات والسّلوكات. [1]

5- الدّراما:

تحوزُ الدّراما مكانة بين الفنون الأدائيّة القديمة وإلى اليوم أيضا، لما لها من خصائص وإمكانيات مكّنتها من تخطّي حواجز الأميّة وصولا لكل الفئات، ولأنّها تنتقي مادّتها من واقع الحياة الذّي يمسُّ حياة الفرد اليومية، ومن ثَمّ تُعدّ نشاطا رمزيًا وتمثيليًا يجمع شخصيات وأفكار وأحداث وقيم ومعارف ومدركات في زمان ومكان معينين لمعالجة موضوع ما.

يناقش "**أرسطو**" مصدر كلمة (**Drama**) من النّاحية اللّغويّة، حيث يُرجِعُ أصلها إلى كلمة **دران Dran** وتعني هذه الكلمة في اللّهجة الدّورية بصفة خاصة -وليس في اللّهجة الأتيكية - عملًا يُؤدَى. ثمّ تحوّلت - فيما بعد- إلى شكلها الحالي **Drama**.[2]

حيث شاع لفظ (**دراما**) في اللّغة اليونانيّة، ومنها انتقل إلى سائر اللّغات الأخرى، ومنها إلى اللّغة العربيّة لكن كلفظ لا كمعنى. فالدّراما ليست من لغة العرب؛ وإنّما هي لفظ مترجم يحمل معاني اصطلاحية. وأصلها في العُرف الأجنبي أن تكون: مسرحيّة حواريّة يقوم بها شخص واحد أمام الجمهور، ثمّ ظهرت فنًّا مسرحيّا لإبراز الشّعائر الدّينيّة النّصرانيّة، ثمّ صارت عُرفًا لأدب المسرح، إلّا أنّها جامعة لطرفي المسرح وهما التّراجيديا، والكوميديا، وأصبحت تقتضي مسرحًا، ممثّلين, وجمهورًا. إنّها حوار، وفعل، وحركة، ولا بُدّ في الدّراما من

---

[1] ينظر: محمد نظيف: الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي ، ص ٩.

[2] ينظر: أرسطو طاليس: فن الشّعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلوالمصرية، دط, (مصر)، [دت], ص 30.

مكان واضح، وزمان معروف، وإنسان تعرف ما حدث من خلاله في ذلك المكان والزّمان ومن مظاهر متنوّعة لحياة النّاس ومجرى الأمور.[1]

فالدّراما إذن, وسيلة من وسائل نقل التّجارب الإنسانيّة ومحاكاة تُحاوِلُ نقل صورة عن الواقع الاجتماعي ووقائعه كذلك. وبهذا تكون الدّراما: « محاكاة لحدث واحد كامل.»[2] وهي أيضا: « التّنفيذ (العرض) المشهدي للكلام (أو الفكر) أو السّلوك.»[3]

وعلى هذا تكون الدّراما مرآة عاكسة للواقع، وتَمثُّلٌ لامعُ تختلف أنواعه باختلاف تمثُّلاته لمواضيع تُعالج قضايا اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو ثقافيّة وحتّى تاريخيّة وهذا النّوع هو الّذي سنسلّط عليه ضوء دراستنا – بإذن الله – فإذا كانت الدّراما **Drame** هي التّمثيل والتّشخيص والتّجسيد والمحاكاة للوقائع والأشخاص والمُلابسات والأجواء... فإنّ الدّراما التّاريخيّة هي الأقدر على توظيف الدّروس والعبر والعظات التّي تستدعيها من صفحات هذا التّاريخ في خدمة ومشكلات وتحديّات الواقع المعاصر والمعيش...[4]

ولا شكّ أنّ الدّراما التّلفزيونيّة تعدّ من أهمّ الأشكال الدّراميّة في العصر الحاضر لما تتمتّعُ به من خصائص وإمكانيّات، حتّى أصبحت من أكثر أدوات التّغير الاجتماعي فعاليّة نظرًا لاجتذابها أعلى نسبة مشاهدة.[5]

6- الحوار الدّرامي:

إنّ الحوار محرّك فعّال وأساسيٌّ في العمل الدّرامي، يحرّك الأحداث، ينشط الأداء، يكشف الحقائق ويُظهِرُ أهداف الشّخصيّة وطباعها وأفكارها. وقد أصبح جزءا لا يتجزّأ من الدّراما؛ بل إنّه يكاد يكون الوسيلة الوحيدة المعبّرة عن الأفكار، وهذا يؤكّد حقيقة أنّهُ أساسُ البناء

---

(1) ينظر: عزّ الدّين عطية: الدّراما التّلفزيونية ومقوماتها، وضوابطها الفنية، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير، كلية الآداب، قسم اللّغة العربية، الجامعة الإسلاميّة غزة (فلسطين)، سنة ٢٠١٠م، ص ٣٦، ٣٧.

(2) رشاد رشدي: نظرية الدّراما من أرسطو إلى الآن، هلا للنشر والتّوزيع، ط١: ٢٠٠٠م، الجيزة، [دت], ص ٢٠.

(3) جيرالد برنس: المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، ص ٦٧.

(4) محمد عمارة: الدّراما التّاريخية وتحديات الواقع المعاصر، مكتبة الشروق الدّولية، ط١: ٢٠٠٥م، القاهرة، [دت], ص ٩.

(5) محمد محمد عمارة: دراما الجريمة التلفزيونية، (دراسة سوسيوإعلامية)، دار العلوم، ط١: ٢٠٠٨م، القاهرة، [دت], ص٧.

الدّرامي. وفي ضوء ما مضى نجدُ أنّ مُهمَّة الحوار لا أن يروي أحداثا حدثت في الماضي؛ وإنّما يعبّر عن الماضي بلغة الحاضر، فهو يصوّر أشخاصًا بيننا اللّحظة والآن.

ويعرّفه " **أسامة فرحات**" بقوله: « المونولوج الدّرامي هو الحوار الدّرامي الدّاخلي المنفرد بين صوتين لشخص واحد أحدهما هو صوته الخارجي العام؛ أي صوته الذي يتوجه به إلى الآخرين، والآخر صوته الدّاخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره، ولكنه يبزغ على السّطح من آن لآخر.»[1]

ما نفهمه هو أنّ الحوار الدّرامي سواءً أكان داخليّا أو خارجيّا، مُهمّته السّيرَ بموضوع المسلسل وتدرّج أحداثه وتسلسل وقائعه، وهذا ما يتماشى مع كلمة دراما التّي تعني: «السّير إلى الأمام باستمرار وذلك من خلال فعل وكلام محتومين إلى غاية ونتيجة محتومة.»[2]

وورد أيضا في قاموس " **المصطلح السّردي**" الحوار أو المونولوج الدّاخلي، أنّه: «الحياة الدّاخلية للشخصية التّي تعرض بصورة مباشرة بدون توسط سردي والحوار أو المونولوج الدّاخلي في السّرد يجب أن يميز عن المونولوج الدّرامي **لبراوننج** أو **تنيون**؛ لأن الأخير يكون موجها في العادة إلى مخاطب وينطلق في شكله الأساسي من الحديث وليس من الفكر.»[3]

يتضح من هذا التّعريف الفرق بين الحوار السّردي والحوار الدّرامي؛ لأنّ الأخير ليس مجرّد تعاطي كلام أو مقابلة بين شخصين. فهو قبل كل شيء صياغة لغويّة مُوجهة لمخاطَب ما في شكل حديث. فالحوار الدّرامي حوار مصنوع يُبلور رؤيا المؤلِّف وغايته في صور دراميّة تخضع لمؤثّرات متنوّعة تسعى لإنتاج قبول لدى المتلقّين « فصفته أنّه يجسد،

---

[1] أسامة فرحات: المونولوج بين الدّراما والشّعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٠.

[2] حورية محمد حمو: حركة النّقد المسرحي في سوريا (1967م – 1988م)، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1998م، ص 207، 208.

[3] جيرالد برنس: المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، ص 68.

ويكشف المواقف، ويعرضها في صورة أقرب إلى الواقع من حيث اللّغة اللّفظية، ولكن بطريقة تخضع لقواعد فنية وإبداعية.»[1]

7- السّيناريو:

لا بدّ من إيجاد خطّة منتظمة قبل أي عمل جادّ تُمهّدُ الطّريق، وتَطرحُ الفكرة في مخطّط خرائطي يُنجَزُ فعليًا. حيث يعود أصل الكلمة سيناريو: « فالسّيناريو لفظ ايطالي يعني – كما تقول دائرة المعارف الفرنسية «**لاروس**» _ « عرض وصفي لكل المناظر التّي سوف يتكون منها الفيلم .. وحينما يعالج هذا النّص ويكتب له حوار وبعد التّصوير يصبح السّيناريو النّهائي ويسمى عادة « التّقطيع الفني».»[2]

وبِحَسبِ ذلك يمكن القول أنّ السّيناريو مضمون الفلم ومادّته الإبداعيّة، والوثيقة التّي تقف وراء كلّ ما نراهُ متحرّكًا.

ويُعرّفهُ " **جيرالد برنس**" في قاموسه أنّه: « تمثيل أو تقديم معرفي تعتبر عناصره بمثابة تعليمات للطريقة المثلى للقيام بأدوار معينة (Shank and Abseion) فسّيناريو عن مطعم يشمل على سبيل المثال تعليمات للزبون والنّادل والقائم على الخزينة... إلخ، ورغم أنّ السّيناريوهات تعتبر غالبا مكافئة للإطارات والخطط والمخططات إلّا أنّها خطط مجسمة محكية التّوجيه.»[3]

نتوصلُ من خلال هذا التّعريف أنّ السّيناريو خطّة تمثيليّة تسبق العمل التّمثيلي، أو هو تخطيط على ورق؛ أي أنّه شريط وصفي في شكل لقطات ومقاطع ومشاهد وحوارات على ورقة، قابل للتّشخيص والتّمثيل الدّرامي يهدف إلى تقديم الأحداث والشّخصيات والفضاء الزّماني والمكاني لأيّ عمل فنّي درامي أو سينمائي كان.

---

[1] عز الدين عطية: الدّراما التّلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية، ص 271.

[2] فرانك جوتيران: فنون السّينما، تر: عبد القادر التّلمساني، المجلس الأعلى للثقافة، دط، القاهرة، 2001م، ص13.

[3] جيرالد برنس: المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، ص 204.

يمكن القول في خاتمة هذا المدخل أنّ التّداوليّة نظريّة لسانيّة تتمحور دراستها حول دراسة اللّغة في الاستعمال؛ أي أنّها ترتبط بمقاصد المتكلّمين وبأحوال المخاطبين وكيفيّة إقناعهم والتّأثير في أفكارهم وسلوكاتهم وزمان العمليّة التّواصليّة. إذ يُعد الحجاج القضيّة والآليّة الأبرز لها في عمليّة تحليل الخطابات والحوارات وشتى أشكال التّواصل التّي تتمظهر فيها اللّغة. وكما يبين "**حبيب أعراب**" دراسة الحجاج في الخطاب اللّفظي هو شأن التّداوليّة إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجيّ يخضع ظاهريّا وباطنيّا لقواعد شروط القول وتلقّيه، فإنّ كلّ خطاب حجاجي تبرز فيه القصديّة والتّأثير والفعاليّة ومكانة أفعال الذّوات المتخاطبة، فأكيدٌ انتمائه إلى مجال التّداوليات.[1]

وأخيرا نجد مستوى أخر يتجسّد فيه البعد التّداولي للخطاب الحجاجي وهو المستوى الحواري الّذي يحتضن عملية المحاورة بين المتحاورين، بآليات المحاججة ذات البعد التّداولي من أجل تحقيق التّواصل والتّفاهم. كون الحوار فعلا قاصدا يتجلّى في تبادل كلامي بين طرفيه موجّه نحو هدف ما.

و الآن سيتمّ الكشف عن مدوّنة بحثنا تعريفا بالمسلسل وشخصياته ولغته وما إلى ذلك من خلال العناصر الآتية.

[1] ينظر: حبيب أعراب: « الحجاج والاستدلال الحجاجي »، عالم الفكر، الكويت، مج ٣٠، العدد ١، سبتمبر ٢٠٠١م، ص ١٠١، ١٠٢.

وصف المدوّنة:

مسلسل ربيع قرطبة

1_ الأندلس:

تاريخُ الأندلس* أكبر من تختصرهُ لمحة أو نبذة في بحثنا هذا، فهو تاريخ زخم عظيم كان أوّلهُ فتحٌ وملكٌ وحضارةٌ وآخرهُ سقوطٌ وتشرذمٌ وانهيارٌ وهوانٌ. ليس من وكدي هنا عمل إحصاء دقيق لكلّ ما أُلِّف في هذا الشّأن؛ فقد قام بهذا قبلي مؤرّخين وكُتّاب وبعض الباحثين،** فإعادة القول وتكرار السّرد يبدّدُ الجُهد ويضيّعُ الوقت في غير طائل, فإذا تعمّقتُ وأسهبتُ في تاريخ الأندلس أحَدْتُ عن مسار البحث, وإذا اختصرت وأجملت سأكون قصّرتُ وأخللتُ.

لذا يكفي أن أميط اللّثام عن درّة تاج الحضارة الإسلاميّة، عروس الغرب، وجنّة العرب، وروضة المُحِبّ، وملاذ المُجِدّ، بحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفرة خيراتها واستوائها، وكرم بقعتها، وصور مآثرها وضوء منارتها. في هواها نسيم مغربيّ، وفي أطلالها وزخرفاتها نفحات دمشقيّة، ومن غلالِها تفوح رائحة فلسطينيّة، وخاتمة النّوم كعبها، يجتمع الحُلم فيه ويترك في قراءات نوم العصافير. فقط في قرطبة تُمطر السّماء ورودًا، وتصبح الشّوارع قنينة عطر مفتوحة، في قصورها شُيِّدَ العلم والأدب، وَوُلِد أشرفُ النّسب، ولُقِّن الفن والطّرب، كما صُنِع من الشِّعر موشّحات كغزل نِسوة عربيّات زُيّنتْ بأحلى السّمفونيات لشاعر استنشق الشّعر لهفات واستنثر عبيرًا وخلجات ترنَّم بها كلّ الملوك وحتّى الأميرات. فسلامٌ على أرضٍ طيّبةٍ زانها الخالق السّماوي بإيجاده كما زانها الصّانع الأرضي بإبداعه.

سلامٌ على أرض قطنها النّوابغ وأرباب الإبداع وشغف القرائح فسَمَتْ وعَلَتْ وارْتَقَتْ. رغم تفنّن الغرب في المصانع والبِيعِ والأديار والمتاحف والمكاتب والمدارس والجسور والسّدود والطّرق والمعابر والتّماثيل والنُّصب، لكنّهم لم يصنعوا على كثرة تفنّنهم في هذا الشّأن منذ

(*) أمّا مصطلح (الأندلس) يشمل المناطق التي حكمها العرب والمسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقه الجغرافيون والمؤرخون العرب من الكلمات الآتية: الأندليش أو الأندلش أو الأندلس، وهي الأسماء التي سمي بها الوندال الذّين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية، في الفترة من 408 – 429م. (خليل إبراهيم السّامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، ط١، بنغازي (ليبيا) ، [دت], ص ١١.

(**) وأخصّ بالذّكر هنا الجمع الدّقيق الذي قام به الباحث: خزعل ياسين مصطفى في رسالته: بنو أميّة في الأندلس ودورهم في الحياة العامّة (138هـ/ 422 هـ – 755م / 1030م).

عهد اليونان والرّمان طرازً من البناء يكلّمك ولا لسان له فيقول، وينظر إليك فيعمل في شِغاف قلبك ولا عين له فتنظر، ويطربك بتساوق نغماته دون وترٍ ولا ألحان.

سلامٌ على أيّامك الغرّ في سالف الدّهر، فيك قامت أسواق الآداب وبرزت خيرة الهامات (العرب)، وكَمُل في ربوعك الذّوق الأدبي حتّى ظنّ البعض أنّك نسيت كل شيء ماعدا الأدب. سلامٌ على أرواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وأُدبائك وأُمرائك. حكموا فعدلوا فشرعوا شِرعة المدينة المُثلى وعمِلوا بتعاليم الدّين والدّنيا. كانت صفوة العقول في عهدهم فأدهشوا من عاصرهم وخلَفهم، نسجوا النّسج الرّقيق، كتبوا فيه سجلًّا رقّتْ حواشيه، ونِظامًا متقنًا في حكم الإنسان للإنسان يطبع في تَاليه إذا تدبّره طبيعة حسن الذّوق والطّبع، ويُنشئه على أرقّ مثال من الخيال في الكمال والجمال.

فالأندلس كانت ومازالت مدرسة الغرب المسيحي نزل طلّابه خلال قرونهم المظلمة على علماء العرب, فأوسعوهم من مكارم أخلاقهم، وأكرموا مثواهم بما علّموهم. وما أسخى العربيُّ على طالب قرّاه، والمعتصم بحماه، فلمّا جاء دور الانحطاط وأزفّ رحيل ذاك الرّعيل من أرض كان الغرب كلّهم يعدّهم فيها أثقل دخيل، أبقوا لهم مصانع ناطقة ومساجد شاهقة وشوارع زاهرة وثقافة إسلامية رائجة ومكاتب زاخرة وهندسة وفنون شاهدة.[*] وفي الأخير تأبى الأندلس إلّا أن تكون جرحًا غائرًا في وجدان هذه الأمّة بسقوطها على يد رعاع أجلاف لا يكاد ملكهم يستحمّ مرة في حياته.

2_ الرّباعية الأندلسيّة:

في عام 2003م أنتجت الدّراما السّورية مسلسل " **ربيع قرطبة**", أتى المسلسل ضمن الرّباعية الأندلسيّة وهي سلسلة تلفزيونيّة تاريخيّة من كتابة وتأليف وحوار وسيناريو " **وليد سيف**" [*] ومن إخراج "**حاتم علي**". [**] تحكي قصّة الأندلس منذ فتحها إلى سقوطها، بُنيَت

[*] للاستزادة راجع كتاب: غابر الأندلس وحاضرها, لمحمد كرد علي.

[*] أكاديمي وشاعر وكاتب درامي، تفوق بأعماله الدّرامية التّاريخية التي انفرد بجعلها نوعا أدبيا مصورا. ومن أهمها: صلاح الدّين الأيوبي، صقر قريش، ربيع قرطبة، ملوك الطوائف، عمر ابن الخطاب، التّغريبة الفلسطينية، (وليد سيف: الشّاهدُ المشهود, الأهلية، ط١: 2016م، عمان(الأردن), [دت], ص 509).

السّلسلة على أربعة أجزاء، أنتج ثلاثة منها ولم يفرج عن الجزء الرّابع لأسباب مجهولة، والأجزاء هي:[1]

1_" صقر قريش" تمّ إنتاجه في عام 2002م، يحكي سيرة " **عبد الرّحمان الدّاخل**" منذ ولادته مرورًا بسقوط الدّولة الأمويّة, وقيام الدّولة العباسيّة على أنقاضها، وفراره إلى الأندلس ليُحيي الدّولة الأمويّة مرّة أخرى.اكتفى المسلسل بلمحة عن فتح الأندلس وعهد الوُلّاة فيها.

2_"ربيع قرطبة " يحكي سيرة " **الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر**" وطموحه. من رجل بين العامّة إلى حاجب الخليفة وحاكم للأندلس. اكتفى المسلسل بلمحة عن عصر ما بعد "**صقر قريش**" في أُولى حلقاته، وفي الحلقة الأخيرة أشار إلى عصر ما بعد "**الخليفة المصور**" وسنفصّل في ذلك لاحقا.

3_ " ملوك الطوائف" تمّ إنتاجه في عام 2005م، يروي عصر ملوك الطّوائف في الأندلس مركز الأحداث على المعتمد " **بن عبّاد**", وقصّة " **دولة المرابطين**"، وسيرة "**يوسف بن تاشفين**".

4_ "سقوط غرناطة" كان من المقرّر إنتاجه في عام 2007م, حيث يتحدّث **عن ' مملكة بني الأحمر'** في " **غرناطة**" وسقوطها الذي ارتبط بسقوط الأندلس.

عدّها كثير من النّقاد السّينمائيّين العرب أنّ رباعيّة الأندلس السّلسلة الأضخم فكريًّا وتاريخيّا وأدبيّا في تاريخ الدّراما والسّينما العربية.

(**) ممثل وكاتب ومخرج سوري – بدأ حياته بالكتابة المسرحية وكتابة النّصوص الدّرامية والقصص القصيرة. حصل على جائزة في الفنون المسرحية من المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق. عضو نقابة الفنانين في سوريا (الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): حاتم علي، ((https: //ar.wikipedia.org/wiki)، تاريخ الإطلاع: ١٩/٠٥/٢٠٢٠).

[1] ينظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): الرباعية الأندلسية (سلسلة تلفزيونية) (WWW.Wikiwand-com/ar_)، تاريخ الاطلاع:١٩/٠٥/٢٠٢٠.

وأعمدة بطولة تلك السّلسلة هما: **' تيم حسن'** و**' جمال سليمان'**، وتختلف أدوار البطولة فيما بينهما، ومعهما كوكبة من الممثّلين السّورين أبرزهم: **' نسرين طافش'، 'سلاف فواخرجي'، 'مي سكاف'، 'سوزان نجم الدّين'، 'محمد مفتاح'، ' أيمن زيدان'، 'باسل خيّاط'.**

3- مسلسل ربيع قرطبة:

مسلسل[*] "**ربيع قرطبة**" عملٌ دراميٌّ تاريخيٌّ مؤلَّفٌ من ثلاثين حلقة، تتراوح مدّة كلّ خمسون دقيقة تدور أحداثه في مرحلة العصر الذّهبي من تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، وهي المرحلة التّي شهدت الأيّام الأخيرة من حكم الخليفة الأموي، "**عبد الرّحمان النّاصر**", ثم بداية عهد ابنه "**الحكم المستنصر**".[**] مُصوّرًا رحلة صعود فتى كان بائع عطور أصبح حاكم قصور، هذا الفتى الطّموح الذّي لا يرضيه إلّا أن يكون عالما نابغًا في قرطبة، ونجمًا ساطعًا في الأندلس. هو "**محمد بن أبي عامر**"[*] الفتى الذي خرج من ريف الجزيرة الخضراء قاصدًا قرطبة ليُقبِل على طلب العلم وأخْذِ الدّروس. وما إن مرّ زمن إلّا

---

[*] المسلسل التّلفزيوني تمثيلية طويلة تقدّم على شكل حلقات مسلسلة يستغرق عرضها متكاملة من خمس أو سبع أو ثلاث عشرة حلقة أو أكثر تتراوح مدة الحلقة الواحدة في الغالب بين عشر دقائق أو نصف ساعة. (ينظر: محمد محمد عمارة: دراما الجريمة التّلفزيونية، ص ٥٧).

[**] المستنصر بالله الحكمُ بن عبد الرّحمان، وَلِيَ يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان، سنة خمسين وثلثمائة. وتوفي- رحمة الله – يوم السبت لثلاث خلون من صفر، سنة ست وستين وثلثمائة ومولده- فيما ذكره الرّازي – يوم الجمعة، عند صلاة الظهر، لست بقين من جمادي الأخرة سنة اثنتين وثلثمائة. فكانت خلافته خمسة عشرة سنة وخمسة أشهر. (ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس, تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة)، دار الكتاب اللبناني، ط2: 1989م، (بيروت), ج١، [دت], ص 31، 32).

[*] هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، والغالب عليه. أصله من الجزيرة الخضراء. كان مولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. خرج غازيًا، وقد وقع في مرضه الذي مات فيه. وتوفي ليلة الاثنين بقين من شهر رمضان من السّنة المذكورة. قيل: ودفن بمدينة سالم (ينظر: ابن الآبار: الخلة السّيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط١، القاهرة، ج١, ١٩٦٣م، ص ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣).
وبذلك يكون قد عاش خمسُ وستين سنة وعشرة أشهر، وتقلد الحجابة خمسا وعشرين سنة وأربعة وأربعين يوما. (ينظر: ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ.ليفي بروقنسال، دار الثقافة، ط2: ١٩٨٥م، بيروت (لبنان)، ج٢، ١٩٨٠م، ص ٣٥١).

وحلّ بها، فاتّخذ دكّانًا قريبًا من **قصر الزّهراء** يكتب فيه العرائض لذوي الحاجات، ثمّ ما لبِث أن لفت الأنظار ببلاغته وفصاحته، فأنشأ علاقة مع الفتيان الصّقالبة وجارية بشْكنسِيّة (لتصبح حظيّة الخليفة وأمُّ لوليّ العهد), وأحيا علاقة قديمة مع وزير كان صديقًا لأبيه، وبهذين الطّريقتين استطاع أن يدخل في سلك القضاء معاونا لقاضي قرطبة، فشدّ نظرهُ أيضا بذكائه وقوّة علمه، فأوصى به عند ' **الحاجب المصحفي'**، فاتّخذه عاملا عندهُ مُشرفا على أملاك وليّ العهد الصّغير، ومن هنا نشأت علاقاته داخل قصر الخليفة وكالعادة أُعجب بقوّة عمله وعطائه وفطنته وتعدّد مواهبه، ومع مرور الأيّام والأعمال التّي تولّاها وبرع فيها أنسى بها من سبقه ممّن هم أكبر سنّا وأوسع خبرة. فتولّى القضاء وإدارة المال وإدارة الشّرطة الوسطى والعليا ودار السّكة. وما إن مات الخليفة حتّى كان " **محمد بن أبي عامر**" هو المؤتمن على ولده الصّغير وليّ العهد والقائم على شؤونه.

"**محمد بن أبي عامر**" كان داهية فيما يمكن أن نُسمّيه بـ(العلاقات العامّة)، فقد أدرك ذلك منذ أن وطأت قدمه القصر الخطأ فيه يساوي فقدانه كلّ طموحاته بل وربّما فقدانه حياته نفسها. وهكذا نسج العنكبوت شبكته على عدّة محاور، فمن ناحية تقرب إلى السّيدة ' **صُبح**',(*) وداوم على إتحافها بالهدايا وإظهار حرصه على مصلحة ابنها **وليّ العهد** خاصّة وبعد وفاة **الخليفة** وتولّي **'هشام'** (**) المنصب تحت الوصاية. ومن ناحية ثانية تودّده **للفتيان الصّقالبة** (***) وإظهاره لهم الصّداقة والتّقارب الإنساني. ومن ناحية ثالثة تَحمّله تكبّر وسخافات الوزير **'جعفر المصحفي'** (****)، فحَرِص على التّقرب منه وإظهار الاحترام لخبرته وحنكته.

(*) كانت في الأصل جارية بشكنسية من نبرة، واسمها صبح aurora وكان سيدها الحاكم يسميها بجعفر، وكانت مغنية حظية عنده ثم أنجب منها ولده هشام فصارت أم ولده واستطاعت بذكائها وحب الخليفة لها أن تتمتع بنفوذ كبير في القصر (ينظر: أحمد المختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، [دت],ص 224.

(**) المُؤَيدُ بالله هشام بن الحكم، بُويع– أعزه الله– بالخلافة صبيحة يوم الاثنين الخميس خلون من صفر سنة ستة وستين وثلاثمائة. ومولده في جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. (ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 32).

(***) هم خدم في قصر الخليفة كان يؤتى بهم من أوروبا كعبيد مخصيين ومع مرور الوقت أصبحوا فئة ذات نفوذ تقلدوا المناصب في القصر والجيش (ينظر: أحمد المختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس ، ص 197، 198).

(****) هو جعفر بن عثمان أبو الحسن الوزير الحاجب، المعروف بابن المصحفيّ كان من أهل العلم والأدب البارع، وكان الوزير الناظِرَ في الأمور قبل المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، ثمّ قوي المنصور بصبح وتعويلها عليه، وتغلّبَ،

ومن ناحية رابعة استطاع أن يكسب حبّ واحترام القائد " **غالب النّاصري**" (*****) بما أبداه من استبسال وحكمة وإظهار مهاراته الحربيّة إلى جانب يقظته السّياسيّة. دون أن ننسى اختلاطه بالجند وصغار الموظّفين وعامّة النّاس ليبدو واحدًا منهم.

ففي كل مرحلة ارتقاء كان المنصور يصنعُ الأتباع ويألِف القلوب، كيف لا وهو صاحب الحجّة القويّة، والمنطق السّديد واليقظة التّامة، وذو فراسة يعرف بها المرء أيًّا كان أصله. فمنهم من بهره بعلمه، ومنهم من بهره بحضور ذهنه، ومنهم من بهره بسداد رأيه وحُسن مشورته، ومنهم من بهرهُ بالجود والكرم، ومنهم من بَهرهُ بالشّجاعة والإقدام... وهنا لا يتّسع المقام لذكر التّفاصيل، ولكن "**ابن أبي عامر**" كان في مجلس العلم متوقّد الذّهن، وفي ساحة الحرب ثائرًا مقدامًا، وفي السّياسة حكيمًا محنّكًا، وعند الشّدائد والحاجات كريما معطاءً، مؤمنًا بنفسه، فذّ المواهب ومتعدّدها، شديد النّشاط والهمّة فرشّح نفسه للخلافة واعتلى العرش واختتم المشهد والبلاد تحت ختمه، والنّاس على حكمه.

عودةٌ إلى المسلسل الّذي رصد الجوانب الحضاريّة في العصر الذّهبي والّذي شهِد تقدّمًا في العلوم والآداب والفنون حتّى غدت قرطبة روضة العلوم ومنارة الفنون, إضافة إلى أنّه عرض الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة السّائدة آنذاك، وقد عَمَد إلى تصوير الواقع الاجتماعي والثّقافي والفنّي والسّياسة والعلاقات الإنسانيّة والعاطفيّة، وإن كان المسلسل قد قدّم قصّة حبّ بين كلّ من **صبح** و**ابن أبي عامر** إلّا أنّه حرص على تقديمها بشكلٍ (نوعا ما) راقٍ فيه شُبهة نعم لكن ليس فيه خيانة من سيّدة متزوّجة لزوجها, تنمو وتتطوّر في إطار أحداث سياسيّة، حيث تحظى المرأة في هذا العمل بدور متميّز في كشف الخبايا على الرُّغم من كل القيود الكائنة. ويطرح المسلسل أحداثًا وقضايا في تسلسل منطقي مع الاهتمام بدقّة الأحداث التّاريخيّة, ممّا يجعل العمل وثيقة دراميّة تاريخيّة تجمع بين العمل الفنّي الدّرامي والوقائع التّاريخيّة المبنيّة على المصادر الموثّقة.

فنكبَ جعفرًا، ومات في تلك النكبة. (ينظر: الحُميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس, تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1:2008م، تونس، [دت], ص 267).

(*****) أبو تمام غالب الناصري صاحب مدينة سالم، وفارس الأندلس الذي لا يُباري، وكان يُلَقبُ بذي السيفين.(ينظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، دط، لبنان، [دت],ص 328).

ناهيك عن الحضارة في الأندلس لم تكن فقهيّة ولا علميّة فقط، فها هو المسلسل يُظهِرُ الجانب الفنّي والأدبي اللّذان تميّزت بهما الثّقافة الأندلسيّة فكانت دار المدنيات بمثابة معهد عالٍ للموسيقى تدرسُ فيه كل أنواع الغناء والعزف على الآلات. وكان للأدب كذلك حظّ وافر لما كانت تزخر به مكتبة " **الحكم المستنصر بالله**" في الشّعر والأدب، ممّا زكى " **ابن عامر**" علمه بالشّعر والأدب والأنساب وأخبار القبائل, فالمسلسل مليء بالمبارزات البلاغيّة والأدبيّة بين " **الحكم المستنصر**" وحاجبه " **ابن أبي عامر**"، إذ كان الحكم يستطيب الكلام والمسامرة مع " **ابن أبي عامر**" ويُحضرهُ إلى مجلسه ويُشركه في نقاشاته ويُباهي به جُلسائه. وأيضا المسلسل يحوي عدد لا بأس به من الموشّحات الأندلسيّة، والتّي هي أروع ما خلّفته لنا الثّقافة الأندلسيّة في الأدب. فقد استخدم المؤلّف موشّح " **جادك الغيث**" الّذي لا يخفى على كلّ مطلّع على الأدب الأندلسي معرفته والّذي رثى فيه المسلمون خروجهم من الأندلس بشكل ذكي في رثاء قصّة العلاقة بين " **صبح**" و" **محمد بن أبي عامر**".

بقيت الشّخصيات فتردّدت بين الصّواب والخطأ, وبين مثالية الأخلاق وضرورات الواقع فوقفت في مناطق بَينهما لا يغلب عليها الخير أو الشّر إلّا في الأهوال وبعض الأحوال. كلّ هذا في ثوب درامي نُقِل عبر الصّورة، رسم الشّخصيّة بأحوالها وإمكاناتها وطريقة تفكيرها ومواقع مصالحها, ممّا يجعلك ترى تاريخا حيّا لا مجرّد سرد لما في بطون الكتب. إضافة لذلك فإنّ " **وليد سيف**" اهتمّ بتفاصيل معسكر الخصم وما يدور فيه. حتّى وإن كان المسلسل يعرض فترة تاريخيّة مزدهرة لا يأخذ فيها الأعداء نصيبًا كبيرًا من المشهد.

وبالرّغم من الإطالة في هذا الجانب (وصف المسلسل)، إلّا أنّه من العسير وصف الأعمال الفنيّة وهي كائنات حية. فما كان بالوسع لنا الحديث فقط عمّا هو مهم وأساسي في المسلسل.

4_ لغة المسلسل:

تحتفِظُ مُسلسلاتُ " **وليد سيف** " بأولويّة وفرادة في الكتابة الدّراميّة التّاريخيّة لما تتضمّنه من علم بالتّاريخ والأدب والشّعر، ولما تحويه من مفردات لغويّة بلاغيّة في غاية القوّة والثّراء, فيصلح أن يكون النّص وحده مصدر للمتعة داخل المسلسل. ولا شكّ طبعًا أنّ أداء

الممثّلين وحُسن إتقانهم للّغة يُلبسُ السّيناريو ثوبا لا أروع ولا أبدع من لغة فخمة جذلة, خاصّة وأنّ نصوص هذا العمل تمّت صياغتها بلغة عربيّة فخمة فاخرة بليغة فصيحة كالتّي تقرؤها في كتب الأدب القديم لتنقلك لذلك العصر.

فنصُّ المسلسل غزيرُ المعاني, سديد المنهج، قريب المنال، سهل الأسلوب، واضح التّعبير، محكمٌ ومتناسق النّظم، مبسوط العبارة، مُسهَبُ البسط، منثور المسائل، متشعّب الأغراض، متضمّن الفوائد. قد نُزِّهَ عن التّعقيد والإشكال والإبهام واللّبس والخلل واللّغو والحشو والرّكاكة, ذلك أنّ المتكلّم له قدرة الجدال عن الفكرة وضدّها حتّى يكاد كل متكلّم يقنعك بفكرته (وإذا طلعت البدر غارت النّجوم، وإذا جاءت الشّمس طغى نورها على كل نور).

وإلى جانب اللّغة الحوار اللّذان جعلا التّاريخ في المسلسل واقع يجري لا حكاية تُروى أو حدثا يُسرَد؛ هذا لأنّ الكلام في الحوار الدّرامي والّذي دار بين الشّخصيات (المتحاورين) جزِل، رقيقٌ عذبٌ، سائِغٌ، سهلٌ، رشيقٌ، مهذب اللّفظِ، منقّح العبارة، مُحكَم السّبْك، خلعت الفصاحة عليه زخرفها والبلاغة بيانها وبديعها، مفعم الإيحاء والإيماء بحيث أنّ الكلمة التّي تقال يراد منها أكثر من معنى، وغالبا ما لا يُرادُ بها إلى المعنى الوارد في ظاهر الكلام, وما حدث في أوّل مشهد من أوّل حلقه يثبت ما سلف ذكرهُ.

ثلاثة شبّان يملكون ذات السّلعة، ويقابلهم مشتر واحد، وعلى كل واحد منهم أن يجذب هذا المشتري لسلعته ويقنعه بها دون سلعة الآخر. الخيار الأقرب للتّصور في موقف كهذا أن تكون المنافسة على السّعر الأبخس، لكن من العجب أن يفوز بالنّزال من يبيع بالسّعر الأغلى. هذا ما فعلهُ " **محمد بن أبي عامر**" في مشهد كانت فيه **سلطة اللّغة من قوّة الحجاج، وسلطة الحجاج من قوّة اللّغة.** مُراعيًا أثناء إنتاجه للكلام المقام وقرائن الأحوال وحال المستمع، حيث أنتج المتكلّم كلامه بحسب المقتضى كي يضمن لقصده الوصول ويحقّق الفائدة (البيع). فأنتج أقوالا متواليّة تتضمّن حُججًا أثّرت في السّامع باعتبارها تحوي أفعالا لغويّة حجاجيّة مقنعة.

والملاحظ في هذا المشهد(الحوار الدّرامي)؛ أنّه تمّ إنتاج ثلاث خطابات المُخَاطِبين عدّة (محمّد وصاحبيه)، موضوع الخطاب مشتركٌ (بيع العطر وكسب الرّزق)، والمُخاطَب واحد (المُشتري) تمّت هذه العمليّة الخطابيّة في المكان والزّمان نفسُه، حيث أخفقتا العمليّتان الأولى والثّانية ونجحت الأخيرة؛ لأنّ المتكلّم كما سبق الشّرح أحسن استخدام الآليّات اللّغويّة وألمّ بمجريات الخطاب، وراعى كلّ الظّروف المحيطة به، فقد عرف المتلقّي وعلى حسب ذلك أنتج كلامه، وحقّق غايته بواسطة طاقات اللّغة وإدراجه لحجج قويّة أثّرت في مُحاوِره. على خلاف المخاطِب الأول والثّاني اللّذان لم تتحقق فيهما الشّروط التّي توافرت عند الثّالث فباء حوارهما بالفشل ولم يستطيعا إقناع المشتري لا بجودة العطر ولا ببخس الثّمن.

ومن هنا نؤكّد أنّ الحجاج يكمن في اللّغة وبواسطتها يتحقّق، أي أنّ الإقناع يكمن في استعمالها، وهذا ما ظهر في الخطاب الثّالث من العمليّات التّخاطبيّة التّي أُنجزت. ومن ثمّ تأتي أهميّة المقاربة من طبيعة تناولها للحوار الدّرامي والكشف عن الظّاهرة التّداوليّة الحجاجيّة فيه؛ ذلك من خلال تتبّع أثر الحجاج وتقنياته المستعملة, وإستراتيجيّة الإقناع ووظائفه في تشكيل المعنى، واتجاهه الحجاجي في الخطابات المنجزة مع التّركيز على دوره البارز في مُجريات عملية التّواصل.

وهذا ما سنُلقي عليه الضّوء في الجزء المُوالي من البحث.

فصل تطبيقي:

دراسة التّحليل الحجاجي

في التّداول

توطئة:

يُعنى مبنى هذين الفصلين _ النّظري التّطبيقي_ بطرح وشرح أسس ومفاهيم نظريّة "**الحجاج في اللّغة**" خاصّة مع بروز تيار التّداوليّة المدمجة بداية سبعينيات القرن الماضي، الّذي حاول العودة بالدّرس التّداولي إلى نزعته اللّسانية مركّزًا على الوظيفة الحجاجيّة المنغرسة في البنى اللّغوية، ومعوّلًا على أدوات إجرائية تنطلق من اللّغة وتعود إليها. وذلك من خلال مدوّنة مؤسّسة على حوارات دراميّة مفعمة بالتّقنيات الحجاجيّة والإقناعية المتداولة بين المتحاورين باعتبارها البنيّة اللّغويّة التّي يتجسّد فيها نشاط اللّغة.

لذا سنعمد _أوّلًا_ إلى دراسة الرّوابط والعوامل الحجاجيّة وما تحمله من دلالات حجاجيّة خاصة بالتّداول, وسنُظهر ذلك من خلال نماذج تطبيقيّة مختارة من المسلسل.

وسنرصد _ثانيًا_ظاهرة المبادئ الحجاجيّة بما أنّها مسلّمات حجاجيّة مسلّم بها ضمن جماعة لغويّة ما. باتّخاذ ظاهرة المثل أنموذج لمقاربة هذا المظهر الحجاجي.

أمّا السّلالم الحجاجيّة فمبحث يراد منه تصنيف الحجج وترتيبها حسب معيار القوّة والضّعف. معتمدًا على عدّة مسوّغات منها القيمة الحجاجيّة, الإتجاه الحجاجي, الفئة الحجاجيّة والقوّة الحجاجيّة, والأمثلة المنتقاة ستوضّح ذلك.

يُختم الفصلين برصد ظاهرة الفعل اللّغوي ومفادها أنّنا عندما نتكلّم لا نخبر ولا نصف, إنّما ننجز فعلًا سلوكيًا وتأثيريًا في الواقع. وسنعمل على استجلاء هذه الظاهرة بإيراد مقاطع حواريّة تبيّن فاعليّة فعلي الحجاج والاقتضاء.

يبدو جليًا أنّ هذه العناصر شكلت أهمّ التصوّرات الحجاجيّة في الخطاب التّداولي الّذي يُفضي إلى مدى معرفة المرسل بالمتلقي, وكذلك معرفة تأثير السّياق فيه, باستحضار التّقنيات الحجاجية التّي تسعى لحمل المتلقي على التّسليم بما يقصدهُ المتكلم الّذي يحدّد تركيب الجملة ودلالاتها بما يلائم قصدهُ والمقام, ويُراعي كذلك مدى قوّة إنجازيتها لفعل التّواصل والتّفاعل.

وسنبدأ الآن بعرض هذه الأسس الحجاجيّة تنظيرًا وتطبيقًا من خلال الآتي.

1_ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة:

لا محيد من أنّ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة واسمات لغويّة تظهر في بِنية * اللّغة ذاتها، حيث لا تتمّ أيّ عمليّة خطابيّة إلّا بوجودها. لما لها من أثر في توجيه الأقوال وتحقيق إتسّاقه وانسجامه لإفهام المخاطَب ومن ثمَّ إقناعه؛ فعليها تؤسَّسُ بنية القول**, وبها يتمُّ الرّبط بين أجزاءه (الحجج والنّتيجة) كون اللّغة لها وظيفة حجاجيّة؛ بمعنى أنّ التّسلسلات الخطابيّة محدّدة لا بواسطة الوقائع المعبّر عنها داخل الأقوال، إنّما محدّدة بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللّغويّة التّي تمّ توظيفها وتشغيلها.[1]

ولقد ارتبط مفهوم هذه العناصر اللّغويّة في الدّراسات السّابقة بالمباحث النّحويّة والدّلاليّة التّي كانت ترى أنّ وجودها ضمن الخطاب لا يهدف إلى ربطه بسياق تلفّظه، بل يهدف إلى التّعليق النّحوي بين الجمل، وتحديد قيم صدق القضيّة وشروطها (تقديم المعلومات والإخبار فقط)، دون النّظر في وظيفتها الحجاجيّة التّداوليّة. وهذا ما أثار ردّ فعل "**ديكرو وزميله**" إلى رفض هذا الوصف التّقليدي واقتراح وصف حجاجي جديد لهذه الأدوات وعدِّها مؤشّرات حجاجيّة اعتمادً على فرضيّة "**التّداوليات المندمجة La pragmatique intégrée**" و مضانها أنّ القيمة الحجاجيّة لأي قول مرتبطة بالنّتيجة التّي يمكن أن يؤدّي إليها (الممكنة أو المحتملة) لا بالمعلومات التي يتضمّنها.[2]

ولم تُعرف كذلك العوامل الحجاجيّة كمؤشّرات حجاجيّة إلّا مع أصحاب هذه النّظريّة. فجُلّ الدّراسات السّابقة أقرّت بأنّ دور هاته العناصر اللّغويّة لا يتجاوز الرّبط بين الجمل

---

* هي نسق من العلاقات بين مكوّنات ظاهرة ما حيث يحقّق هذا النّسق الوحدة الدّاخليّة للظّاهرة، ولكنّه لا يقتضي بالضّرورة عزلها عن العالم المحيط, لأنّ بينها وبينه علاقة، وحيثما وُجدت العلاقة وُجدت البنية (رزيق بوزغاية: ورقات في لسانيات النّص، دار المثقف للنّشر والتّوزيع، ط: 2018م، الجزائر، 2018م، ص 130).

** يُميز ديكرو بين الجملة والقول، أمّا الأولى فهي كيان مجرّد مؤلّف من مجموعة مفردات وفق قواعد النّحو، أمّا الثّاني فهو عبارة عن إلقاء قولي مخصوص للجملة، ففي عُرفه الدّلالة تخصّ الجملة والمعنى يخصّ القول (دلالة الجملة ومعنى القول). (ينظر: جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص 349).

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص 16، 17.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

والقضايا*, وإن كانت تحمل في ثناياها المعنى التّخاطبي العادي الخالي من الآثار الحجاجيّة الّتي تسعى إلى الإخبار والتّواصل. بينما الدّراسات الحديثة لم تغفل الجانب المهمّ لهذه العناصر اللّغويّة التّي تلعب دورًا رئيسيًا في إتّساق الخطاب وانسجامه (لفظا ومعنى)، وتحصر الخطاب، وتوجّههُ إلى مسار واحد يقصدهُ المتكلّم دون غيره.

وما يلفت الإنتباه أيضًا هو أنّ هذه الوسائل اللّغوية (الموجّهات الحجاجيّة) ليس لها معنى في ذاتها ** إلّا إذا اسندت لغيرها أو وُظّفت في سياق معين وفي هذا الصّدد يوضّح الأستاذ "**حاتم الزّاملي**" أنّ للأداة أكثر من استعمال يخضعُ للقصد والمواقف الحجاجيّة هي التّي تُظهر قوّتهُ في الرّبط وتوجيه الأقوال نحو غايتها وإبراز أثرها الإقناعي.[1]

ولهذه الأدوات اللّغويّة معانٍ متنوّعة ومتعدّدة, يختار منها المتكلّم أثناء محاججته وما يتناسب والسّياق وقد تتفاوت في قوّتها وضعفها باختلاف مواضعها وسياقاتها؛ فما يصلح منها في موضع لا يصلحُ في موضع آخر, وما يصلح في مقام ما لا يصلح في غيره, وهذا ما ورد عند الأستاذ "**بن ظافر الشّهري**" في قوله: « يعتمِدُ الخطاب في الحجاج على تقنيات

---

* قد تمّ التّخلي عن هذا التّصور لأن ظاهرة الرّبط معقدة، ولأن الرّبط بين الأقوال ليس إلا حالة خاصة، فقد يربط بين قولين وقد يربط بين عناصر غير متجانسة، كأن يربط قول وقوليه... أو بين قول وسلوك غير كلامي... ومن هنا يفهم أن الرّابط يكون بين قولين أو أكثر كما يمكن أن يكون رابط بين ما هو لغوي وغير لغوي. (المرجع السّابق نفسه: ص 29).

** وهذا ما عزم عليه جُل النّحاة، والرأي المشهور ما نص عليه "سيبويه" بقوله: فالكلم، اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم وفعل. (أبي بشر عمر وبن عثمان بن قنبر: الكتاب, تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988م، القاهرة، ج1، [دت]، ص 12).

وقضية معنى الحرف من المسائل المختلف فيها والمشتركة بين علمي النّحو والأصول؛ فالحرف عند الأصوليين وبعض النّحاة معناه في نفسه على خلاف النحاة قاطبه الّذين يرون أنّ معناه في غيره. (الحافظ جلال الدّين عبد الرحمان السّيوطي: بُغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2: 1979م، ج1، [دت] ص 14).

وما ذهب إليه الأصوليون من رأي يسجّل لهم السّبق التّاريخي في هذا الباب؛ لأنّ ما ذهبت إليه التّداولية المدمجة لا يخرج من هذا إلّا في اختلاف النّظام اللّغوي الّذي انطلقت منه الفكرتان. (لطيف حاتم الزّاملي: « حجاجيّة الرّوابط والعوامل في الجزء الثّلاثين من " القرآن الكريم" _مقاربة في ضوء التّداوليّة المدمجة_ »، من كتاب الحجاج بين النّظريّة والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، ط1: 2020م، إربد (الأردن)، 2020م، ص 185).

[1] ينظر: المرجع نفسه: ص 183.

مخصوصة لا تختصّ بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها، بما يتناسب مع السّياق الذّي يحفّ خطابه ».[1]

من البيّن أنّ الرّوابط تقنية بارزة في الخطاب الحجاجي، فهي التّي تساهم في تكوينه وتعينُ منجزهُ على ترتيب حججه وبنائها بما يوائم غايته. وقد تتظافر قوّة هذه الرّوابط بحسن توظيفها في الخطاب وتحقيق البعد الإقناعي عبر استمالة المتلقي وتوجيهه.

وبالعودة إلى المفهوم فلقد أدرج "**ديكرو**" مفهوم الرّابط والعامل الحجاجي لأوّل مرّة في مقاله المعنون (Notre sur l'argummentation et l'acte d'argumenter) المنشور سنة 1982، ثمّ فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983، والّذي عنونه ب: (Opérateurs argumentatifs et vise d'argumentative).[2]

ومن هنا يتوجب علينا رصد بعض التّعريفات لهذين المصطلحين:

1_1: مفهوم الرّابط الحجاجي: Le connecteur argumentatif

يعرّفه "**عبد السّلام عشير**" على أنّه علامات تُعطي الإنطلاقة للتّضمينات المتواضع عليها، وتتدخّل على مستوى الوصف الدّلالي للّغة الطبيعيّة، ولا تتعلّق باستعمال نظام اللّغة في الخطاب والتّواصل وحدهما، بل تتعلّق باستعمالات أخرى. ذلك لأنّ مضمون الخطاب متغيّرا ليس ثابتا. فتفرض هذه الرّوابط قيود دلاليّة ذات طبيعة استدلالية على التّأويل التّداولي.[3] وعليه يبدو أنّ الوظيفة التّداولية للرّوابط تختلف عن وظيفتها النّحوية والدّلالية.

وكما عرّفاه صاحبَا "**معجم تحليل الخطاب** أنّه: « يوسّع العاطف التّقليدي بجمع عبارات تنتمي إلى مقولات نحويّة متنوّعة من نوع أدوات العطف، وأدوات وعبارات الرّبط التّعليقي والرّدائف وتحليلها يُبرز الوظيفة المشتركة بين هذا القسم من الكلمات وهي الرّبط الذي تحدثه

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 2004م، بنغازي (ليبيا)، [دت]، ص 476، 477.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي: « الحجاج والمعنى الحجاجي »، من كتاب التّحاجج: طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط1: 2006م، الرّباط، [دت]، ص 64.

[3] ينظر: عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نُغيّر، ص 82.

بين السّياق اللّغوي يمين الملفوظ الّذي يتصّل به، وذلك الملفوظ نفسه... والتّأويل الحجاجي للرّوابط المكونة لقسم الرّوابط الحجاجيّة، هو ناتج ثلاث شبكات تأويل متفاوتة في الإتحاد ترجع إلى الاستلزام المنطقي، والعلاقة الماديّة سبب– نتيحة، والعلاقة حجّة– نتيجة ».[1]

جُملة القول من هذا التّعريف هو أنّ وظيفة الرّوابط التّداولية أوسع من وظيفتها النّحويّة و الدّلاليّة؛ لأنّها تكتسب معاني تُمليها السّياقات المختلفة ومقاصد المتكلمين؛ المخاطِب يُلقي مجموعة من الحجج تخلِّفُ أثرًا معينا لدى المتلقي، هذا الأثر هو نتيجة قصدٍ مُوجّه وجهة معيّنة، وهذا التّوجه يأتي نتيجة فاعليّة الرّوابط الحجاجيّة داخل البنية اللّغويّة واستعمالها في سياق ما.

فالرّوابط الحجاجيّة وكمل يعرفّها " **أبو بكر العزاوي**" هي الّتي تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصّح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورًا محدّدًا داخل الإستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة. ويمكن التّمثيل للرّوابط الحجاجيّة بالأدوات التّالية: بل، لكن، حتّى، لاسيّما، إذن، بما أنّ، إذ...إلخ.[2]

ندرك من خلال هذا القول أنّ وظيفة هذ الرّابط الحجاجي الرّابط بين الأقوال وتحديد الدّور الحجاجي داخل الإستراتيجيّة الخطابيّة. حيث ذكر الباحث أنماطًا متنوّعة لهذه الرّوابط نُجملها في هذا المخطّط:[3]

[1] باتريك شارودو، دُومينيك منغنُو: مُعجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، دار سيناترا، دط، تونس، 2008م، ص 127.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص 27.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

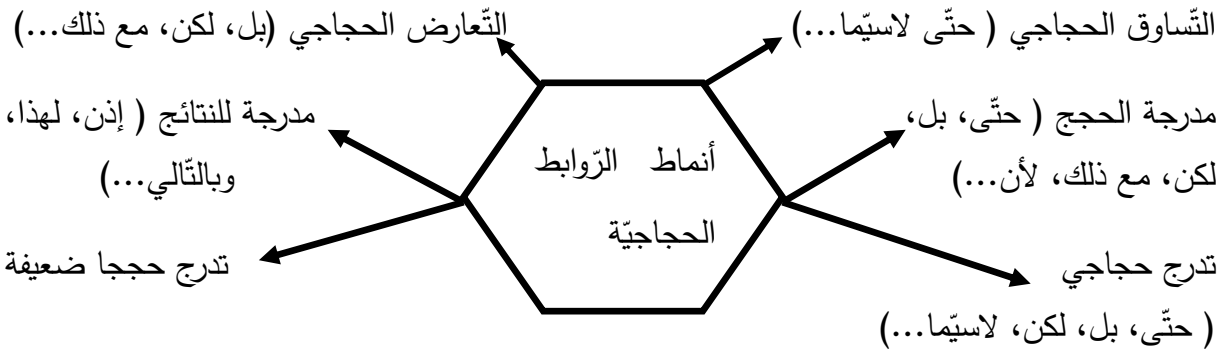

1_2: مفهوم العامل الحجاجي: Le Opérateur argumentatif

ويُعرّفه **رودلف قيقليون" R.Ghiglione** ضمن مصنّف "**الحجاج والبلاغة**" في ثلاثة مواضع وهي كالآتي:

- **علامة، رقعة، بطاقة:** إذ يرى أنّه: « يوجد في اللّغة عناصر يمكن تسميتها "**عوامل**" Opérateur تساعد على تحقيق إحدى وظائف اللّغة وإتمام اللّعبة الحجاجيّة ».[*]
- **أداة، آلة:** وهنا عند دراسته لتأثير الخطاب إذ يقول: « يمكن اعتبار كل خطاب ذا مدى تأثيري تضّمنه أدوات لغويّة تساعد المتقبّل على اكتشاف ما يعتبره الباث واقعيّا وصحيحا ».[**]
- **عماد عملية التّواصل أو محرّكها الرّئيس:** وهذا التّعريف هو الجامع إذ يقول:« وحسب هذه الخطة تمثل العوامل فيما نرى، محركا رئيسيا من ضمن المحركات التّي تقوم عليها عمليات التّخاطب ».[***]

[*] Ghiglione(Rodolphe) : Opérateurs argumentatifs et stratégies langagières (in) argumentations et rhétoriques, C.N.R.S, 1995, p 229.

[**] Ghiglione(Rodolphe) : Ibid, p 231.

[***] Ghiglione(Rodolphe) : Ibid, p 241.

ولنقل موجزين أنّ العوامل الحجاجيّة عاملًا مساعدًا لتحقيق الإستراتيجيّة الحجاجيّة، وأداة لا يمكن عزلها عن الخطاب (لأنّه لا يتم تحقيق وظيفته التّأثيريّة والإقناعيّة إلّا من خلالها). فكونها العلامة المؤثّرة والأداة والموجّهة يجعل منها المحرّك الرّئيس والفعّال في عمليّات التّخاطب التّي غايتها الإقناع والحجاج، فالعامل الحجاجي يقلّص المسائل التّأويليّة التّي تصل الحجة بالنّتيجة في جملة من الجمل.[1]ومنه نُدرك القيمة الحجاجيّة التّي تبرز في البنية اللّغويّة (الوصل), وتعيّن المسلك التّأويلي لدى المتلقي (الضّبط).

ولا يمكن أن نغفل عن تعريف العوامل الحجاجيّة عند أهم الدّارسين " **العزاوي**" بقوله: « تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التّي تكون لقول ما... وتضمّ... أدوات من قبيل: ربّما، تقريبًا، كاد، قليلاً، كثيرًا، ما... إلّا، وجل أدوات القصر ».[2]

إنّها مؤشّرات لغويّة مؤشَّر عليها في بنية اللّغة، فهي التّي تبرز القول وتحدّد، حيث نجدُ "**ديكرو**" يميّز بين نوعين من المكوّنات اللّغويّة التّي تحقّق الوظيفة الحجاجيّة بتحديده هذا: « أمّا النّوع الأوّل فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحويّة مثل أدوات الاستئناف(الواو، الفاء, لكن، إذن...) ويسمّيه روابط حجاجيّة وأمّا النّوع الثّاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنّفي أو مكونات معجمية تُحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظّرفيّة و"تقريبا" و"على الأقل"... الخ ويسمّيه عوامل حجاجيّة ».[3]

نقلا عن: ينظر: عز الدّين النّاجح: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، مكتبة علاء الدّين، ط1: 2011م، صفاقس (تونس)، 2011م، ص 16، 17.

[1] ينظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص 342.

[2] أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج: ص 27.

[3] شكري المبحوث: الحجاج في اللغة، من كتاب نظريّة الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم, ص**376.377.**

أمكن لنا هذا المنقول أن نستنشفّ الفرق بين الرّوابط والعوامل الحجاجيّة* على الرّغم من أنّا كلاهما مكوّن لغوي إلّا أنّ وظيفة الأولى الرّبط بين الأقوال ربطا نحويا دلاليا، أمّا الثّانية متعلقة بالمعنى الإسنادي القول ككل.

يمكن الآن التّمثيل لهذه الرّوابط والعوامل التّي أسهمت إسهامًا فعّالًا في تأطير الحجاج بالخاصيّة اللّغويّة في مدوّنه بحثنا "**مسلسل ربيع قرطبة**" والّذي اتّسع لعدة علوم (**البلاغة. علم الكلام. المنطق والفلسفة...**) تجسّدت من خلال الحوارات القائمة بين الشّخصيات (المتكلّمين)، والتّي احتوت مجموعة كبيرة من هذه الرّوابط والعوامل الحجاجيّة الفعّالة والمؤسّسة لمختلف أنواع الخطابات الحجاجيّة. لذلك سوف نعمد لإعطاء صورة واضحة ووافية لأهمّ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة التّي تواتر ورودها في المدوّنة، والتّمثيل لها بنماذج موضّحة لكيفيّة اشتغالها واستعمالاتها المختلفة لاعتبارات حجاجيّة وتداوليّة.

وسنحاول فيما يلي أن نرصد بعض الرّوابط المتساوقة التّي ترّبط بين حجج تخدم نتيجة واحدة، والرّوابط المتعارضة التّي تغيّر المسار الحجاجي وتؤول به إلى نتيجة غير التّي كانت ستحصُل. ويمكن أن نمثّل لهما من خلال هذا الحوار المقتطف من المسلسل.

الحوار الأوّل:

«**عمرو:** أوحقا ما علمت، قرطبة! لمن تتركني هنا؟

محمّد: أمّي تتولّى رعايتك حتّى تشبّ عن الطّوق.

عمرو: تتركني وحدي مع زياد أُناكثه ويناكثني.

محمّد: إن شئت صحبتني.

عمرو: وما الّذي أرجو أن أصيبه في قرطبة؟

* يميز صاحبا القاموس الموسوعي بين نوعين من العوامل الأساسيّة التّي تحدّد وجهة الجملة؛ العوامل الخطابيّة والعوامل اللّغويّة ويقصدان بالأولى ضروب التّعقيب والاستئناف، والثّانية واسمات لغويّة مختصة في تعيين الوجهة الحجاجيّة وتُسمّى بالعوامل الحجاجيّة التّي تقيّد احتمالات الجملة وتعيّن لها وجهة حجاجيّة.(ينظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ص 338).

محمّد: أليس لك غاية تطلبها؟ أم تحب أن تبقى هنا في حصن طُرّشْ تبيع الصّوف والطّيب للمارّة، حتّى يفتح الله عليك، فتقتعد دكّانا في السّوق.

عمرو: لم تُخلق التّجارة لمثلي. أنا لا أُحسن تجميل القبيح وتقبيح الحسن. بلى أحسب لكلّ رجل غاية بعيدة قُدّرت لبعضهم ولم تُقدّر لسواهم، وإلّا ما رأيت فيها شقيّا واحدا، ولكن هذا لا يكون. لا يفوز أحدهم بغايته إلّا من غاية الآخر، فشقيٌ وسعيد، فائز وخاسر.

محمّد: وكيف تعرف مكانك من هؤلاء إن لم تخض غمارها؟

عمرو: إلّا أن يقنع الرّجل بما يُضاد. نعم تفوته لذّة فوز الفائزين، ولكنّه يجتنب كذلك حسرة الخائبين.

محمّد: (وهو يحرث ويسوق حمارين) هذا هو العيش وهو مشترك مع سائر المخلوقات، أمّا الحياة فشأن آخر. فهذا ما قدّرت له حقا. عيش الأنعام تأكل وتشرب وتنام. أمّا نحن فلم خصّنا الله بالعقل والإرادة هل نَرتدُّ بأيدينا إلى أسفل سَافلين وقد خلقنا الله بالفطرة في أحسن تَقويم. بل نَنظر ونُقدّر ونُغامر ونُجازف ونُدافِع ونُدافَع، نخطئ مرّة ونصيب أخرى ونفوز ونخسر وبهذا تمضي سنّة الحياة إلى غايتها فتُبنى الممالك وينهض العمران. ألا ترى إذن قد يفوز رجلٌ ليخسر آخر ولكن حياة الخلق على الجُملة لا تُخسر بالتّدافع بين النّاس فقط فقط فقط حين تتوقف سنّة التّدافع تفسد الدّنيا.

عمرو: على رسلك يا محمّد. قد أغرَبت ودخلت في الفلسفة وعلم الكلام، وإن كنت تَأملُ أن تصيب شيئا في قرطبة فلا يسمعك أحد هناك تخوض فيما يشتبه بالفلسفة والكلام فقد علمت أن فقط قرطبة وعامتها يتسمّحون في كلّ شيء كل شيء إلّا هذا فهم عندهم من الزّندقة. فإذا شَكّوا أنّ أحدهم يتكلّم فيه عَمدُوا إلى بيته فحرقوه عليه. (دفع محمّد عمرو فارتمى على الأرض) لا بأس لا بأس التّدافع كما تقول ولكن من يدافع من؟ وعلى أيّ شيء إذا دافع الوزراء فيما بينهم على مناصب الحكم، وإذا دافعوا العامّة على ما في أيديهم من الأعمال والصّنائع كلٌّ يدافع في مرتبته التّي وُجِد فيها، فبأيّ مرتبة ستدافع النّاس في قرطبة وعلى أي غرض؟

محمّد: هذا هو الاختبار، ألا تدافع في مرتبة وجدت نفسك فيها ولم تخترها، بل لأجل مرتبة ترى نفسك أهلا لها وليس لك معك إلّا همّتك وعزيمتك صاحبا، ومواهب ما منحك الله إيّاها إلّا ليبلوك بها وحقوق مُنِعها كثيرٌ من النّاس لا يُوالى لهم فإن طلبتها لهم في طلبك لنفسك كانوا عدّتك التّي تعتدُّ بها وسيفك الّذي تضرب به وعينك التّي تُبصر بها وسمعك الّذي تسمع به.

عمرو: والله لقد ذهبتَ بعيدًا في أحلامك (ضحك محمد) هذا الّذي تطلب أبعد ممّا يبلّغه العلم في جامع قرطبة، فكأنّي به قد دخل في حمى السّلطان وهو حمى منيع تحجبه آلاف السّيوف ولا باب فيه لرجل من العامّة, وبعد ففي كلام آبائنا بعض السّلوى "السّلطان من اعتزل السّلطان".

محمّد: لا يا **عمر** هل تصدّق هذا حقا؟ إن صحّ هذا فيصحّ في رجل بلغ السّلطان ثمّ تعفّف عنه وهؤلاء بيضة الدّين، أمّا جُلّ من يقول هذا القول فرجال طلبوا ولم يدركوا أو عزّ عليهم حتّى الطّلب فخالوا إلى هذه الحكمة يتسلّون بها سلوى العاجز».[1]

نلحظ من خلال هذا الحوار توافر مجموعة روابط حجاجيّة تميّزت بفاعليتها الحجاجيّة وتوجيه دلالة المحاججة. من مثل: حتّى، إنْ،أنْ, ليس، أم، الواو، الفاء، لكن، بل، إذن, ثمّ وغيرها. ساهمت كلّها في انسجام الحوار وتماسكه وتوجيه المتلقي نحو الغاية التّي يريدها المتكلّم.

أ_ روابط التّعارض الحجاجي:

- **الرّبط الحجاجي (لكن*)**: يقيم هذا الرّابط علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين، ويشير أصحاب النّظريّة الحجاجيّة _للأداة (لكن)_ إلى: أنّ التّلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين:

[1] مسلسل ربيع قرطبة: الحلقة الأوّلى: من الدّقيقة ٢٩ إلى الدّقيقة ٣٣.

* تكون مخفّفة ومثقلة، فالمحققة غير عاملة، والمثقلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتّوكيد (أبي الحسن علي بن عيسى الرّماني: معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشّروق، ط٢: ١٩٨١م، جدّة (السّعودية)، [دت]، ص ١٣٣.

1. أنّ المتكلّم يقدّم (أ) و(ب) بوصفها حجّتين، الحجّة الأوّلى موجهة نحو نتيجة معيّنة (ن)، والحجّة الثّانية موجّهة نحو النّتيجة المضادّة لها أي (لا_ن).

2. أنّ المتكلّم يقدّم الحجّة الثّانية بوصفها الحجّة الأقوى، وبأنّها توجّه القول والخطاب برمّته.[1]

وسنوضّح ذلك من خلال **(المثال الأوّل)**:

محمّد: أحسبُ لكلّ رجل غاية بعيدة قدّرت لبعضهم ولم تقدر لسِواهم وإلّا ما رأيت فيها شقيا واحدا و**لكن** هذا لا يكون. لا يفوز أحدهم بغايته إلّا من غاية الآخر فشقيّ وسعيد، فائز وخاسر.

نلاحظ أنّ الرّابط الحجاجي قد عمل تعارضا حجاجيّا بين ما تقدّمه وما تأخّر عنه؛ فالقسم الأوّل قد تضمّن حجّة تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (هناء وسعادة كل الرّجال) أمّا القسم الثّاني الّذي جاء بعد الرّابط فقد تضمّن حجّة تخدم نتيجة مضادّة للنّتيجة السّابقة (لا_ن)؛ أي تخدم نتيجة (قدر الرجل سعادة وشقاء، فوز وخسارة). وبما أنّ الغاية التّي أراد **عمرو** إيضاحها تكمن في القسم الثّاني من كلامه، فإنّ الحجّة الثّانية أقوى من الحجّة الأوّلى، فهي التّي ستوجّه القول بمجمله نحو النّتيجة (لا_ن).

ويمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجيّة من خلال هذا الشّكل:

والشّيء نفسه في **(المثال الثّاني)**:

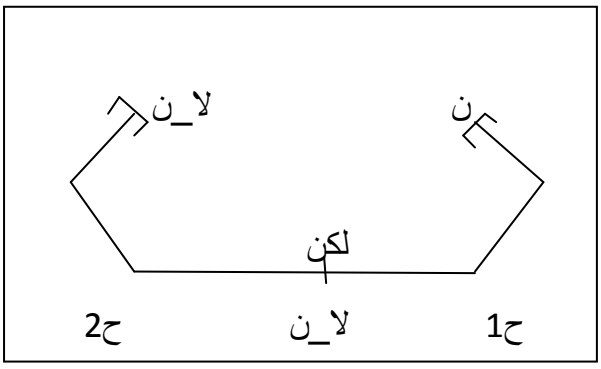

عمرو: نعم تَفُوته لذّة فوز الفائزين، و**لكنّه** يتجنّب كذلك حسرة الخائبين.

[1] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج, ص 58.

فالحجّة المتضمّنة في الجزء الأوّل من القول (فوات لذّة الفوز)، وجاء الجزء الثّاني يتضمّن حجّة مضادّة ومعاكسة للنّتيجة السّابقة (لا_ن) (اجتناب الحسرة والخيبة).

- **الرّابط الحجاجي (بل*)**: هي كذلك من أدوات الرّبط التي تستعمل للحجاج والإبطال، إذ تكمن حجاجيّتها في أنّ المرسل يرتّب بها الحجج في السّلم، بما يمكن تسميته بالحجج المعاكسة؛ أي أنّ بعضها منفي وبعضها مثبت، لأنّ **(بل)** حرف إضراب وله حالان:

الأوّل: أن يقع بعدهُ جملة.

والثّاني: أن يقع بعدهُ مفرد. فإن وقع بعدهُ جملة كان إضرابا عمّا قبلها، إمّا على جهة الإبطال، وإمّا على جهة التّرك للانتقال من غير إبطال وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب. ولكن حالها فيه مختلف، فإن كانت بعد نفي فهي لتقرير حكم الأوّل، وجعل ضده بعدها.[1]

ممّا سبق يتّضح أنّ **(بل)** تعمل هي الأخرى على الإضراب والإبطال في المنحى الحجاجي. ومن أمثلة ورودها قول "**محمد**" **لـ**"**عمرو**" **(المثال الثّالث)**.

> **محمّد:** هذا هو العيش وهو مشترك مع سائر المخلوقات، أمّا الحياة فشأن آخر. فهذا ما قدّرت له حقا ؟ عيش الأنعام تأكل وتشرب وتنام. أمّا نحن فلمّا خصّنا الله بالعقل والإرادة هل نريد بأيدينا إلى أسفل سافلين، وقد خلقنا الله بالفطرة في أحسن تقويم. بل ننظر ونقدّر ونغامر ونجازف ندافِع وندافَع، فنخطىء مرّة ونصيب أخرى ونفوز ونخسر وبهذا تمضى سنّة الحياة إلى غايتها.

إنّ الرّابط **(بل)** الوارد في هذا المثال أقام علاقة حجاجيّة مركّبة من علاقتين حجاجيّتين، علاقة بين الحجّة الأوّلى التّي وردت قبل الرّابط الحجاجي **(بل)** والتّي تحيل على نتيجة

* وهي من الحروف الهوامل، ومعناها الإضراب عن الأوّل، والإيجاب للثّاني (الرّماني: معاني الحروف، ص ٩٤).

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٥١٤، ٥١٥.

ضمنيّة من نمط (العيش لجميع المخلوقات من أكل وشرب ونوم، وحياة الإنسان حياة عقل وإرادة).

وعلاقة حجاجيّة ثانية وهي التّي وردت بعد الرّابط **(بل)** (سنّة الحياة من مغامرة ومجازفة وتقدير...) فهي تحمل نتيجة ضمنيّة مضادّة للنّتيجة السّابقة (العيش)، فيكون القول حسب هذا الشّكل:

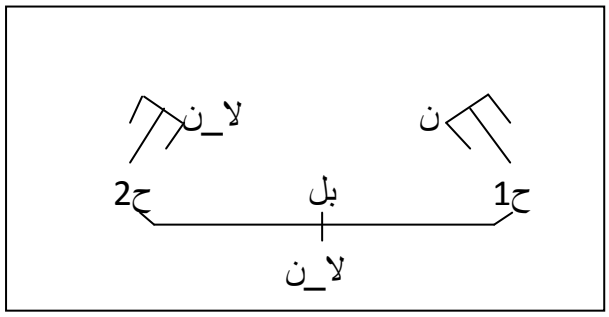

حيث "**ح**^{1}"و"**ح**^{2}" يشيران إلى الحجج و"**ن**" تشير إلى النّتيجة التّي تخدمها هذه الحجج, "**لا_ن**" تشير إلى النّتيجة المضادّة للنّتيجة السّابقة "**ن**" والرّمز"— **]**" يشير إلى العلاقة الحجاجيّة، فالرّابط الحجاجي **(بل)** قد ربط بين الحجج والنّتائج، وأصبحت النّتيجة الضّمنية المضادّة هي نتيجة القول كلّه؛ لأنّ الحجّة التّي ترد بعد **(بل)** أقوى من الحجّة التّي ترِدُ قبلها في إفادة المقصد التّداولي والحجاجي.

- **الرّابط الحجاجي (حتّى [*]):**

يؤدّي الرّابط الحجاجي **(حتّى)** دورًا بارزًا في حوارات المسلسل، ويكتسب أهميّته هذه من قوّته الحجاجيّة بالإضافة إلى معناه الدّلالي ووظيفته التّركيبيّة. إذ يربط بين حجّتين لهما نفس التّوجه الحجاجي ويخدمان النّتيجة نفسها. ثمّ إنّ الحجّة التي ترد بعده هي الأقوى، فالقول المشتمل على الأداة "**حتّى**" لا يقبل الإبطال والتّعارض الحجاجي، حيث لا يقتصر

[*] وهي من الحروف التّي تعمل مرّة ولا تعمل أخرى. فإذا عملت كانت جارة، وكان معناها الغاية.(الرّماني: معاني الحروف، ص ١١٩).

دورها على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة، بل إنّ دورها يتمثّل في إدراج حجّة جديدة توافق ما سبقها ليخدمان نتيجة واحدة. وهذا هو التّساوق الحجاجي.[1]

وقد توفّرت جملة واسعة من هذا النّوع من الرّوابط الحجاجيّة، وسنشرع في بيان قوّتها الحجاجيّة من خلال بعض الأمثلة على سبيل التّوضيح لا الحصر. لأنّنا وكما نعلم الرّابط الحجاجي له عدّة دلالات يحدّدها مقام الاستعمال فقط. وهذا ما نجده في حوار "**عمرو**" و"**محمّد**" **(المثال الرّابع)**:

عمرو: أوحقًا ما علمت. قرطبة! لمن هنا تتركني هنا؟

محمّد: أمّي تتولّى رعايتك **حتّى** تشب عن الطّوق.

فالرّابط **(حتّى)** جاء من أجل تحقيق غاية حجاجيّة إقناعيّة، فربط بين حجتين الأولى إجابة عن سؤال والثّانية إثبات له، ومعنى ذلك أن تكون الحجّة التّي تأتي بعد **(حتّى)** غاية لما قبلها, فالرّابط الحجاجي يحمل معنيين الغاية والتّعليل، (فالغاية هي أن يشبّ **عمرو** عن الطّوق)، والتّعليل أي أنّ ما قبلها علّة لما بعدها، والحجّة التّي جاءت بعد **(حتّى)** علّلت ما جاء قبلها. وهنا يمكن أن نعدّ ما قبله حجّة وما بعده نتيجة أنتجت تساوقا حجاجيّا بين الحجج من أجل دعم النّتيجة التّي يتوجه إليها الحوار والشّيء نفسه ينطبق على المثال الآتي: **(المثال الخامس)**.

عمرو: وما الّذي أرجو أن أصيبه في قرطبة؟.

محمّد: أليس لك غاية تطلبها؟ أم تحب أن تبقى هنا في حصن طُرّش تبيع الصّوف والطّيب للمارّة **حتّى** يفتح الله عليك فتقتعد دكّانا في السّوق.

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص ٧٣.

ربطت **(حتّى)** بين حجّتين لهما نفس التّوجه الحجاجيّ الّذي يخدم النّتيجة المقصودة من قبيل (بقاؤك في حصن طُرِشْ لا غاية لك منه)؛ معنى ذلك الأداة أنّ **(حتّى)** هنا لم تعمل تعارضا حجاجيا بل زادت من قوّة الحجّة التّي سبقتها، ووجّهت القول نحو النّتيجة المقصودة.

يبقى لنا القول أنّ وظيفة **(لكن)** و**(بل)** تعمل على قلب الفرضيّة بين ما يتقدّم وما يُتبع؛ فما يسبق الرّابط **(لكن)** يتضمّن حجّة (أ) ظاهرة تخدم نتيجة مضمرة متوقّعة (ن)، وما بعد الرّابط يتضمّن حجّة (ب) ظاهرة تخدم نتيجة ضمنيّة مضادّة (لا_ن) للنّتيجة السّابقة (ن)، وهنا يكون دور الرّابط الحجاجيّ **(لكن)** في الرّبط بين القضّيتين المتنافيّتين من جانب، ومنح الحجّة الثّانية التّي تأتي بعده بالقوّة اللّازمة التّي تجعلها أقوى من الحجّة التّي سبقتها. ولذلك يعمل الرّابط على توجيه القول نحو نتيجة (لا_ن) هذا فيما يخصّ روابط التّعارض.

أمّا فيما يخص روابط التّساوق الحجاجي فإنّ الحجّة التّي تأتي بعد الرّابط **(التّي)** تخدم ما قبلها وتثبت صحتّها بما أنّها أقوى حجاجيّا لتخدم نتيجة واحدة.

بعد أن قدّمنا نماذج توضيحيّة عن بعض الرّوابط الحجاجيّة، سنعمدُ الآن إلى الكشف عن وسيلة لغويّة أخرى يتوسّلها المتكلّم عند توجيه خطابه وجهة ما لإقناع المتلقي بالنّتيجة التّي يروم تحقيقها، وذلك من خلال هذا الحوار الّذي وقع اختيارنا عليه.

الحوار الثّاني: (حوار مقتطف من مجلس الخليفة ووزراء دولته وكذا شيوخ العلم في الزّهراء).

«**أبو علي القالي:** العلم صنفان علم يُقصد لذاته وعلم يُقصد لغيره من المنافع والمعاش.

القاضي: لا أرى العلم إلّا الصّنف الثّاني.

أبو علي القالي: أليس في الدّنيا غير طلب المعاش؟ ألهذا يتهم أهل الأندلس بال...؟

القاضي: يريد أن يقول أنّنا نُتّهم بالبخل.

أبو علي القالي: لا لا أقول البخل ولكن الحرص.

أحد الوزراء: بل هو حُسن التّدبير وإتّقاء الفاقّة والسّؤال.

القاضي: أُنظر في الأندلس لا تجد فيها متسولًّا واحدًا يسأل النّاس، وإنْ ظهر أحدهم أخذ النّاس يقرعونه أشدّ تقريع حتّى يستحي ويستغني بعمل يده. أمّا عندكم في المشرق يكثر هؤلاء بدعوى الزّهد والانقطاع إلى العبادة ولا يُكاثرهم إلّا أهل الكلام والفلسفة والباطل.

أبو علي القالي: قد تكاثروا علينا يا **مولاي** وأنا لائذٌ بك.

أمير المؤمنين: قد لُذت بملاذ، **يا قوم يا قوم** والله قد ظلمتم أهل الفلسفة والحكمة واستمعتم فيهم إلى رأي التّزمت. وهذه مكتبتنا الأموية جُمعت فيها كتب الفلاسفة فلم تُنكر على أحدهم.

القاضي: أمير المؤمنين أعلم.

أبو علي القالي: هكذا يتحدّث **أبو علي القالي** ويدفع عنه رأيه ويأتي بالبيّنة والحجّة فتتكاثرون عليه. ثمّ إذا ما انتصف لي **أمير المؤمنين** تبيّن لكم الحقّ وصارعتم إلى التّسليم.

ابن حدير: سبحان الله نحن خدم **أمير المؤمنين**، أم خدم **أبي علي القالي**.

أحد الوزراء: ومع ذلك يا **أبي علي** فأنت قدِمت من المشرق منذ زمن بعيد، ووجدت في الأندلس متّسعا رحبًا في ظلّ مولانا **أمير المؤمنين** فما بالك كلّما ذُكر المغرب والمشرق تعصّبت لموطنك الأوّل.

أبو علي القالي: بل أراكم أنتم تتعصّبون فتنسون فضل المشرق. أُنظر إلى الكتب التّي تتدارسونها أليس جلّها من المشرق، وأين يرتحل علماء الأندلس إذ شاؤوا الاستزادة من العلم؟

القاضي: لا. والله لا ننكر ذلك، لكنّنا نأخذ علم المشرق ونضيف عليه علم الأندلس. أمّا علماء المشرق فيستغنون عن غيرهم ترفّعًا واعتدادً.

أبو علي القالي: بل والله إنّهم لمكتفون وعندهم من العلماء ما يفيضون به إلى بقاع الأرض. أُنظر هذا "**زرياب**" ارتحل من المشرق إلى الأندلس أيّام "**عبد الرحمان ابن الحكم**" فطار صيته فيها ولم يجد له منافسًا، وحين ارتحل شاعركم "**الغزال**" في الفترة نفسها إلى بغداد بطلب الشّهرة لم يبلغ شيئًا. وهو أعظم شعراء الأندلس في عصره فعلام يدلّ هذا؟.

محمّد: يدلّ هذا على أنّ عظيمنا بعيد خامل الذّكر في المشرق لكثرة العظماء والأفذاذ، وخامل المشرق يصير عندنا عظيمًا لقلة الأنداد والمنافسين.

أبو علي القالي: هذا هو أخيرًا تلميذي الّذي صنعته على عيني.

محمّد: ألهذا ارتحلت أنت إلى الأندلس وعلا صيتك فيها يا سيّدي؟.

القاضي: الله أكبر ظهر الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.»[1]

حوى هذا الحوار عدّة واسمات لغويّة عملت على تقليص الإمكانات الحجاجيّة للقول، وزادت من طاقاته في التّوجه نحو نتيجة محدّدة وهي (**أدوات النّفي:** لا، لم، ليس و**أدوات الاستثناء:** إلّا، غير، و**النّداء**، و**القسم والتّوكيد والشّرط** و كذلك **مكوّنات معجميّة** من مثل أخيرا، لقلة، لكثرة...) وبما أنّ فهم المتلقّي لا يقتصر على المعطيات الظّاهرة المعجميّة لفهم القول، بل عليه الأخذ بعين الاعتبار المؤشّرات اللّغويّة (التّي لها أثر في السّياق) لكشف عن معنى القول.

ويمكن أن نكتفي بدراسة البعض من أدوات النّفي والاستثناء بكونهما عوامل حجاجيّة موجّهة ولأنّهما الأكثر استعمالا في الحوارات.

أ_ عاملية النّفي والاستثناء: تعدّ هاته الأساليب والصّيغ اللّغويّة التّي لها دورٌ حجاجيٌّ، ووسيلة من وسائل الإقناع لما لها من قوّة تأثيريّة تثبت أو تنفي، تُجمل أو تخصّ« وإذا كان النّفي في عرف المناطقة هو العامل الّذي يحوّل القضيّة الصّحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى الصحيحة وهو عامل أحادي Opérateur unaire »[2] وهذا التّعريف قريب إلى تعريفه في الدّرس اللّغوي ف"**ابن يعيش**" يعرّفه بقوله: « اعلم أنّ النّفي إنّما يكون على

[1] مسلسل ربيع قرطبة: الحلقة العاشرة من الدقيقة 46 إلى 47 الحلقة الحادية عشر من الدّقيقة 3 إلى الدّقيقة 6.

[1] Ben Nasar (A) : logique Symbolique et élémentaire, p 25, T 2, (ed), C.P.U.Tunis 2000.

نقلا عن: عزّ الدّين النّاجح: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص ٤٨.

حسب الإيجاب لأنّه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظة لا فرق بينهما إلّا أنّ أحدهما نفي والآخر وايجاب وحروف النّفي ستّة ما ولا ولم ولما ولن وإن... »[1]

أمّا الاستثناء في اصطلاح النّحاة عبارة عن الإخراج بـ "**إلّا**" أو إحدى أخواتها، لشيء لولا ذلك الإخراج لكان داخلا فيما قبل الأداة وحروفه ثمانية وهي: إلَّا، وغَيْرُ، وَسِوَى، وَسُوَى، وَسَوَاءٌ، وخَلَا، وعَدَا، وحَاشَا.[2]

ونجد هذين الأسلوبين في: **(المثال السّادس)**:

أبو علي القالي: العلم صنفان علم يقصد لذاته وعلم يقصد لغيره من المنافع والمعاش.

القاضي: لا أرى العلم إلّا الصّنف الثّاني.

أبو علي القالي: أليس في الدّنيا غير طلب المعاش؟

عادة ما يُستعمل هذان الأسلوبان (النّفي والاستثناء) فيما ينكره المتلقّي ويدفعه فيما يشكّ فيه ويرتاب. فالمتكلّم الأوّل جعل العلم صنفان في حين المتلقي الأوّل نفى الصّنف الأوّل (والّذي يُقصد لذاته) بواسطة المحدّد اللّغوي المزوّد بقوّة حجاجيّة لما يقصده وهو أداة النّفي (لا)، واستثنى الصّنف الثّاني من العلم (والّذي يقصد لغيره من المنافع والمعاش) من خلال استعماله أداة الاستثناء (إلّا). فالمتكلّم هاهنا نفى العلم كله، إلّا العلم الّذي تكون به منفعة وهذا مراده, فلو قال: "أنا اراهُ الصّنف الثّاني فقط" لكان القول ضعيفًا حجاجيًّا وغير مؤثّر في المتلقّي. لذا عمد إلى استعمال (لا و إلّا) وفي سياق لغوي واحد، ليبرز قصده ويقلّص الإمكانات الحجاجيّة بتوجيه المتلَقِّي نحو نتيجة محدّدة.

[1] ابن يعيش: شرح المفصل، المنيرية، دط، مصر، ج ٨، [دت]، ص ١٠٧.

[2] ينظر: محمد محيي الدّين عبد الحميد: التّعليقات البهيّة على التّحفة السّنية بشرح المقدّمة الأجرومية، تح: كريم بن إبراهيم بن محمّد، مكتبة ابن عباس، ط١:٢٠١٢م، مصر،[دت]، ص ١٧٦.

نرى أنّ توظيف العاملين الحجاجيين (لا وإلّا) قد ساهما في تحديد وجهة القول، ولولا الطّاقة الحجاجيّة لهذين العاملين، وقدرتهما على حصر وتقييد الاحتمالات لما وُظّفا بغزارة في هذا الحوار.

ب_ عامليّة النّداء: يعدُّ النّداء هو الآخر من الأساليب الإنشائية الطّلبيّة, وهو من الوسائل الحجاجيّة التّي تعمل على لفت المتلقّي والتّأثير فيه. إذ يعرّفه " **أحمد الهاشمي**" بقوله: « طلب المُتكلّم إقبالَ المُخاطَب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمانية: الهمزة، وأيّ، ويا، وأ، وآي، وأيا، وهَيَّا، ووَا ».[1]

ونمثل لما وظّف في الحوار من خلال: **(المثال السّابع):**

أبو علي القالي: قد تكاثروا علينا **يا مولاي** وأنا لائذ بك.

أمير المؤمنين: قد لذت بملاذ، **يا قوم يا قوم** والله قد ظلمتم أهل الفلسفة والحكمة واستمتعم فيهم إلى رأي أهل التّزمت وهذه مكتبتنا الأمويّة جُمعت فيها كتب الفلاسفة فلم تنكر على أحدهم.

عندما تغالب جلساء المجلس على "**أبي علي القالي**", لجأ إلى **أمير المؤمنين** كي يشد أزرهُ به في المجلس. حيث تكرّر النّداء ثلاث مرّات "**يا مولاي**" " **يا قوم يا قوم**" وحصل هذا النّداء بواسطة الأداة **(يا)** وهو لنداء القريب والبعيد ومن أكثر الأدوات تداولا في الاستعمال.

ويمكن أن نعُدّ أنّ النّداء في هذا الحوار كان عاملًا حجاجيًا مؤثِرًا وجّه القول حسب ما أراده المتكلّم.

[1] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، دط، بيروت، [دت]، ص ٨٩.

جـ عاملية القسم: وهو الآخر عامل حجاجيّ له دور بارز في إقناع الآخر، إذ يعدّ القسم توكيدًا لدلالته على شدّة ثقة المقسم بأنّ ما أقسم عليه حقّ. وفي هذا إقناع للمخاطَب بأنّ المُلقى عليه لا ريب فيه. ومن حروفه (الباء والواو والتّاء).[1]

وقد برز القسم في الحوار المقتطف في قوله: **(المثال الثّامن):**

القاضي: لا **والله** لا ننكر ذلك، لكنّنا نأخذ علم المشرق ونضيف عليه علم الأندلس. أمّا علماء المشرق فيستغنون عن غيرهم ترفّعا واعتدادً.

أبو علي القالي: بل **والله** إنّهم لمكتفون وعندهم من العلماء ما يفيضون به إلى بقاع الأرض.

استدلّ المتكلّم بقسم سبقه نفي يدحض كلام "**أبو علي القالي**"، وقسم يؤكد عدم إنكاره فضل المشرق على المغرب. ولأنّ الحوار احتدم لجأ المحاورون إلى استعمال الأدوات اللّغويّة بوصفها عوامل حجاجيّة ليثبتوا حججهم ويحققّوا مقاصدهم. وإذا "**بأبي علي القالي**" يقسم بقسم تسبقه أداة تعارض ما سبقها وتفنّده، وتلاهُ توكيد على اكتفاء المشارقة بعلمهم دون الحاجة لعلم الآخرين. فعملت كل هذه الأدوات والأساليب اللّغويّة على تكثيف الطاقة الحجاجيّة سواءً في سياق الإثبات أو النّفي، وحدّدت المسار الحجاجي للحجج الموجّهة لنتيجة واحدة.

دـ عاملية التّوكيد (بإنّ): نقرّ بأنّ للتّوكيد قيمة حجاجيّة واضحة تؤثّر في المتلقّي، وتجعله يسلّم ويذعن للقول المؤكّد، فيفكّ إنكار المنكر ويقطع الشّك، فالتّوكيد يُؤتى به:

1. لمجرّد التّقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السّامع.
2. للتّقرير مع دفع توهم خلاف الظّاهر.
3. وللتّقرير مع دفع توهم عدم الشّمول.

[1] عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر العربي، ط٣: ١٩٩٢م، القاهرة، [دت]، ص ١٣٦.

4. ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع.[1]

فهي « فضلا عن أنّها تنصب المبتدأ وترفع الخبر تؤكد مضمون الجملة ».[2]

خُتِم حوار المجلس بنتيجة مؤكّدة لا يمكن تفنيدها ولا دحضها. وسنوضّح ذلك من خلال **(المثال التّاسع)**:

القاضي: الله أكبر ظهر الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.

فالقائل لم يكتف بقول: ظهر الحق وزهق الباطل، بل واصل قوله بإضافة مؤكّد لغويّ زاد من حجاجيّة حججه وقوتها في الإقناع والتّأثير, فالأداة "**إنّ**" تعدّ عاملا حجاجيًّا قويًّا لإثبات صحّة قول ما. فهي لا توجّه القول فقط وتحدّد النّتيجة؛ بل تجعل المتلقّي يسلّم ويذعن.

هـ_ عامليّة المكوّنات المعجميّة: لا يكتَفِ المحاور باستعمال الأدوات اللّغويّة فقط عند المحاججة، بل يجنح إلى استعمال مؤشّرات معجميّة تساعده على تحقيق مراميهِ وغاياته، وهي من مثل: (كثرة وقلة وأخيرا...) التّي وردت في حوار **محمّد** مع **شيوخه** في **(المثال العاشر)**

محمّد: يدلّ هذا على أنّ عظيمنا بعيد خامل الذّكر في المشرق **لكثرة** العظماء والأفذاذ، وخامل المشرق يصير عندنا عظيما **لقلّة** الأنداد والمنافسين.

أبو علي القالي: هذا هو **أخيرًا** تلميذي الّذي صنعته على عيني.

إنّ هذا الحوار يشتمل على ثلاث محدّدات معجميّة، عملت على حصر وتقييد تأويلات المتلقي في مسار حجاجي يخدم نتيجة واحدة وهي:

[1] ينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص ١٤٤.

[2] عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الإصطلاحيّة، ص ١٣٦.

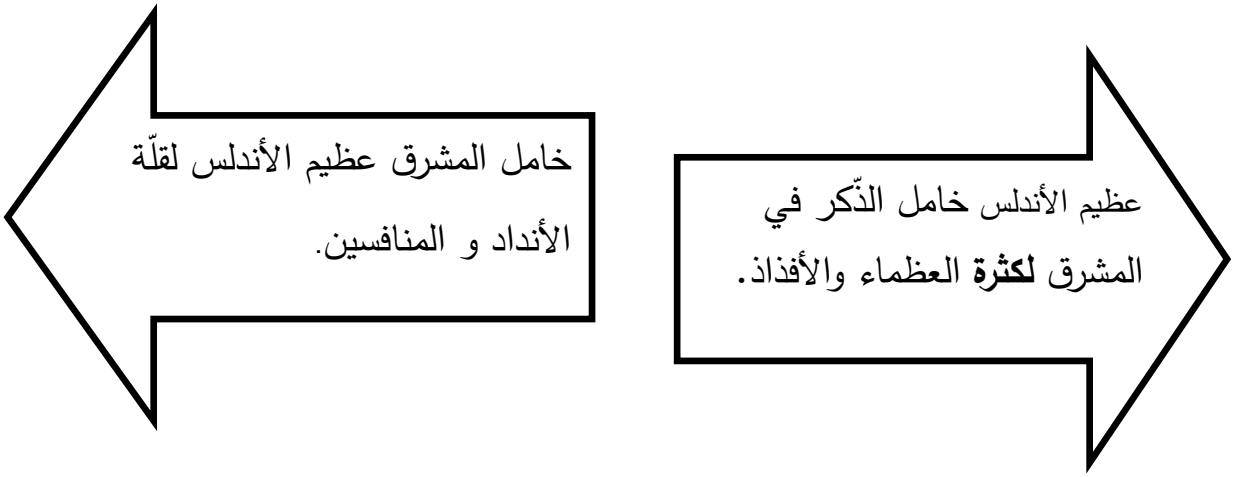

نرى أنّ قول "**محمّد**" مقارنة وموازنة بين المشرق والمغرب من خلال توسّله بوسائل معجميّة **(الكثرة والقلّة)** وحتّى **(أخيرا)** تعدّ مؤشّرا مؤشّر له وبه في بنية اللّغة، وفي متلقّي القول. وبهذا نكون قد رصدنا من خلال هذا الحوار بعض العوامل الحجاجيّة التّي ساهمت وبقوّة في ضبط العمليّة الحجاجيّة.

2_المبادىء الحجاجيّة (المواضع):*

إذا كانت الرّوابط والعوامل الحجاجيّة دعامة الحجاج اللّغوي _ كما سبق الذّكر_ فإنّ المواضع الضّامن الفعّال والأساس لتحقيق العلاقة الحجاجيّة**، لما توفّرهُ من قيمة استدلالية تزيد من قوّة الحجج وقيمة الحجاج. وما سيردُ قوله يوضّح ما نروم شرحه:« وجود الرّوابط والعوامل الحجاجيّة لا يكفي لضمان سلامة العمليّة الحجاجيّة ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجيّة، بل لابد من ضامن يضمن الرّبط بين الحجّة والنّتيجة...، هذا الضّامن من هو ما يعرف بالمبادىء الحجاجيّة (les topoi)، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصّوري أو الرّياضي، هذه المبادىء هي قواعد عامّة تجعل حجاجا خاص ما ممكنا».[1]

جليٌّ من خلال القول: أنّ المبادىء الحجاجيّة بمثابة المبدأ العام الّذي يقوم عليه الحجاج، والضّامن الأساس الّذي يسند الحجج ويقوّيها ويثبت حجتها، ويسعى لتحقيق العلاقة الحجاجيّة بين الحجّة والنّتيجة.

* لفظة Topos (وهي في الجمع topoï أو topoi) مأخوذة من اليونانيّة وتقابل locus communis اللّاتينية التّي جاءت منها العبارة الفرنسيّة lieu commun (موضع مشترك/ المشهورات) (1) والموضع أساسًا عنصر من موضعية topique والموضعية استكشاف، ومن جمع المعلومات وإبراز الحجج. (2) والموضع صيغة خاطبية مّميّزة لنمط من الحجّة. وقد أضاف العصر الحديث معاني جديدة إلى هذا المعنى القاعدي (باتريك شارودو، دومنيك منغو، معجم تحليل الخطاب، ص 459).

** مفهوم عام وشامل يستوعب العلائق الشرطيّة والاستلزاميّة، والعلية والاستنتاجيّة والتبريريّة والتفسريّة والتّشبيّه وغيرها.(أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص 81).

[1] أبو بكر العزواي: اللّغة والحجاج, ص 31.

وتُعرّفُ المواضع*** في « **نظرية الحجاج في اللّغة** » التّي دافع عنها "**ديكرو**" و "**أنسكومبر**" على أنّها مبادىء عامّة مشتركة تعرض باعتبارها مقبولة عند المجموعة تربط ربطا متدرجا خصائص (**محمولات أو سلالم**) هي ذاتها متدرجة.[2]

وهذا ما اتفق عليه جُلّ الباحثين بأنّ الموضع (وجمعه مواضع) استعير من مواضع "**أرسطو**" وهو مفهوم يُعين مباديء مقبولة داخل مجموعة لغويّة، وهذه المباديء تكون بمثابة الدّعائم للعمليّة الحجاجيّة.[1]

وهي عند "**أرسطو**" كما يقول "**بارت**": « ما تلتقي فيه أغلبيّة الاستدلالات الخطابيّة ».[2] فهي إذن مُجمل ما أجمعت واتّفقت عليه جماعة لغويّة ما. لذلك عرّفها "**دورماسي**"

*** انتشر استعمالها في حقول معرفية مختلفة وتذكر منها: استعمال "فرويد" في تمثيله للجهاز النّفسي، وله في نظريته موضعيتان: الموضعيّة الأولى (مثّل فيها لمكونات الجهاز النّفسي الثلاثة: اللاوعي، ما قبل الوعي، الوعي وفسّر في إطارها ما سماه "الجانب الاقتصادي الطّاقي")، ثمّ الموضعية الثّانية (وفيها مثّل للمكونات الثّلاثة: الأنا، الهو، الأنا الأعلى).

واستعراض كل من "كورتيوس" و"لالند" و"روبول"، و"بارط"، موضعيات قامت عليها بعض المباحث في الفكر الغربي قديما وحديثا. والموضعيات التّي ذكروها هي:

- مواضع النّحو (الإشتقاق والتّصريف)
- مواضع المنطق (الجنس, الخاصة, الغرض، النوع، الفاصلة، الحد، التقسيم)
- مواضع الميتافيزيقا (العلة الغائبة، والعلة الفاعلة، المعلول، الكل، الأجزاء، الحدود المتقابلة)
- الموضعية الخطابية (موضعية الاستدلال، وموضعية الأخلاق، موضعية الانفعالات).
- موضعية المضحك (العيوب الجسدية, والعقلية والأحداث).
- موضعية لاهوتية (الكتابات المقدسة، آراء الآباء، المجامع الدينية).
- موضعية الخيال (كليات الخيال والمعاني المشتركة) (ينظر: هشام الرّيفي: "الحجاج عند أرسطو"، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 187).

[2] ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 562.

[1] ينظر: جاك موشلر، آن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة، القاموس الموسوعي للتداولية، ص340.

[2] رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشّرق، دط، (المغرب)، 1994، ص 60.

Dumarsais بأنّها الأقفاص التّي يمكن لكلّ النّاس أن يذهبوا إليها من أجل إليها من أجل يأخذوا مادّة خطاب ما وحججا حول كل نوع من الموضوعات.[1]

فحدّ المواضع* إذن، أنّها قفص عادات وتقاليد معتقدات وأفكار وتجارب (خلفيات ثقافيّة ومعرفيّة) يشترك فيها الفرد مع الجماعة. وتكون حجّة إذا وظّفت داخل موضوع في سياق ما. فالمواضع ليست الحجج بالذّات وإنّما هي الغُرف التّي نرتب الحجج بداخلها من هنا فهي كل صورة تربط بين فكرة فضاء وفكرة خزان...، إنّها ضاحية حيث يمكن العثور على الحجج. [2]

وقد قدّم " **أنسكومبر**" في ندوة حول الحجاج سنة 1987 صياغة للمواضع والمفيد فيها:[3]

1- أنّ العلاقة الحجاجيّة تتطلّب وجود موضع بين الحجّة والنّتيجة.

2- أنّ للمواضع أشكالًا تتحدّد بـ "أكثر" و"أقل" ضمن منطقة قوّة محدّدة.

3- أنّ أشكال المواضع من خلال التّأليف بين " أكثر" (ورمز+) وأقل (ورمز−) أربعة هي: (+، +) و(−،−) و(+،−) و(−، +).*

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 61.

* قضايا عامّة جدًا، لكن لا يمكن أن نصفها بكونها " أطرًا فارغة" كما ذهب إلى ذلك بعض الدّارسين. المواضع المشتركة يمكن أن نعتبرها _ بما هي جذور تشتق منها القضايا الخاصّة_ أطرا لكن لا يمكن أن نصفها بكونها فارغة بأي حال من الأحوال ففيها علاقات مجردة والعلاقة هي بناء لمعنى هو طبقة من طبقات العلاقات الدّالة في القول المنجز. (ينظر: هشام الرّيفي: "الحجاج عند أرسطو"، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم إشراف، ص 197).

[2] ينظر: رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 62.

[3] ينظر: شكري المبخوت: " الحجاج في اللّغة "، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص 380.

* ومثالة:

أ_ لن تربح: ثمن هذا الحذاء ثلاثون دينارً.

ب- ستربح: ثمن هذا الحذاء ثلاثون دينارً.

ج- لن تربح: ما ثمن هذا الحذاء.

أمكن لنا أنْ نَستشف أنّ العامل الحجاجي شبكة من المواضع التّي تمثل مسارات حجاجيّة ينبغي اتّباعها للوصول لنتيجة ما، وهذا هو التّحوير الّذي أدخله مفهوم الموضع على نظريّة "**الحجاج في اللّغة**" " فلمّا كانت بعض التّراكيب والأساليب تمثل تعليمات وتوجيهات حجاجيّة على المستوى اللّغوي، فإنّ الجُملة التّي تنجز في مقام مخصوص لا تفضي لنتيجة محدّدة إلّا بالإحالة على موضع من المواضع.[1]

ومفاد ذلك أنّ العناصر اللّغويّة من غير سياق محدّد وخلفيّة معرفيّة مشتركة بين المخاطِب والمخاطَب يؤدّي إلى إخفاق العمليّة التّواصليّة. لذلك يرى "**عزّ الدّين النّاجح**" أنّ المواضع لا قيمة لها في ذاتها بِقدر ما تكمن قيمتها في ما تؤديه من وظائف في الخطاب [2] وتفاعل الرّوابط والعوامل الحجاجيّة مع المواضع هو ما يؤدّي إلى ضمان الوظيفة الحجاجيّة، وهو الّذي ينتقل بالخطاب من الحجج إلى النّتائج. وفي هذا الصّدد يبيّن كذلك "**عز الدّين النّاجح**" هذه العلاقة بقوله: « وما يُظهر نجاعة الموضع إلّا العامل الحجاجي الّذي يعتبر قالبا نميز به بين المواضع الصّحيحة و اللّاحنة بل إنّ مزية العامل على المواضع إنّما تكمن في تقليصها وتحديدها ومقولتها ».[3]

د- ستربح ما ثمن هذا الحذاء إلا ثلاثون دينار.

ومقتضيات الاستدلال هي:

ج- لن تربح لأن هذا الحذاء ما ثمنه إلّا ثلاثون دينار وحسب مفهوم الموضع تنطبق على هذه الأقوال (أ) و(ب) و(د) ثلاثة أشكال من المواضع.

الشكل (+،-): "كلّما كان ثمن الشّيء أرفع كان شراؤه أقل ربحًا" وينطبق على القول (أ) والشّكل (-، +) "كلمّا كان ثمن الشّيء أقل ارتفاعا كان شراؤه أنفع" وينطبق على القولين (ب) و(د). والشّكل (-،-): "كلما كان ثمن الشّيء أقلّ ارتفاعا كان شراؤه أقل ربحا" وينطبق على القول غير الشّائع (ج). (ينظر: المرجع نفسه: ص 380، 381).

[1] ينظر: المرجع السّابق نفسه, ص 383.

[2] ينظر: عز الدّين النّاجح: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربية, ص 83.

[3] المرجع نفسه: ص 96.

ومنه نخلص إلى أنّ وظيفة العامل الحجاجي غير محصورة إلّا في توجيه الخطاب وجهة ما وتحديد تأويلات المتلقيّ، بل وظيفته تتعدّى ذلك إلى كيفيّة اشتغال الموضع في الخطاب وإعماله لما يناسب المقام ويوافق النّتيجة ولكن تبقى النّتيجة هي المحدّد الرّئيس مع المقام لصلاح موضع دون آخر وهذا مأتى زئبقية الموضع (عدم ثباته واستقراره)، باعتباره الواصل بين الحجّة والنّتيجة فلا نتيجة دونما موضع ترتكز عليه ولا موضع دونما نتيجة يؤدي إليها. فالعلاقة بينهما إلزامية (وجود أحدهما يقتضي وجود الآخر).[1]

نستطيع أن نؤكّد على دور المؤشّرات اللّغويّة في توجيه الحجج نحو النّتيجة، كما أنّنا لا نستطيع أن نجعل منها التّقنيّة الوحيدة التّي تحقّق البعد الحجاجي للقول فمن دون ضامن يضمن الرّبط بين الحجج والنّتائج، ويعزّز القوّة الحجاجيّة للأقوال تفشل في تأدية تلك الوظيفة. لذا تظافر هاته التّقنيات وتلاحمها فيما بينها (البنية اللّغويّة والبيئة الخارجيّة) يؤدّي إلى ضمان النّتائج المقصودة من لدن المخاطبين والمستحسنة من لدن المخاطبين.

بَقيَ لنا أن نذكر خصائص المبادئ الحجاجية وهي كالآتي: [2]

1) إنّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد.

2) تصلح لعدد كبير من السّياقات المختلفة.

3) تدرجيّة؛ أي أنّها تقيم علاقة بين محمولين (العمل، النّجاح مثلا).

4) نسبيّة؛ إمكانية إبطالها إمّا لعدم ملاءمتها السّياق المقصود, أو باعتماد مبدأ حجاجي أخر مناقض له.

[1] ينظر: المرجع نفسه: ص 99, 100, 101.

[2] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج، ص 31.

وتأسيسا على ما سبق الخوض فيه سنسعى إلى مقاربة ظاهرة المثل* واستجلائها باعتبارها مسلّمة استدلالية، وباعتبارها ضامن يضمن العلاقة الحجاجيّة بين النّتيجة التّي تهدف إليها الحجّة وتؤدّي إليها. وقد وقع اختيارنا على هذه الظّاهرة لما تحظى به من قوّة إقناعيّة تظهر عندما يتمّ استدعاؤها في الحوار، واستحضارها في الخطابات والاستشهاد بها للتّأثير في الآخرين وإقناعهم بالدّعوى التّي يطرحها المتكلم، وأيضا لاعتقادنا بأنّ خصائص المبادئ الحجاجيّة (النّسبيّة، التّدرجيّة، العموميّة) تنطبق على معظم الأمثال.*

ومن هنا سنسعى إلى تبيين حجاجيّة المثل وكيفيّة توظيفه في الخطاب بغية الإقناع والتّأثير. ويكفي أن يكون وسيلة للتّواصل تلم بأهمّ المواضيع التّي تشغل بال المجتمع والمتداولة فيه. والصّواب ما قاله " **المرزوقي**" (انظر الهامش أسفله) فالمثل عنده يقال في موقف ما، ثمّ يطلق في آخر مشابه له، ولهذا يتّسم بالتّداول ويلقي الشّيوع والذّيوع بين (مستعملي اللّغة)؛ وهذا ما تركّز عليه الدّراسات التّداوليّة الحديثة.

وما نجدهُ في الحوار التّالي يوضّح ما آنف شرحه:

الحوار الثّالث:

«**المعلّم:** وهذه مسألة يُحسن ترك الخوض فيها ولقد كثُر الكلام فيها عند المشارقة، واختلفت فيها طوائف المتكلّمين وأهل الفلسفة والمذاهب وقد أفضت إلى فتن عظيمة وشرور كبيرة.

* ونقصد به (الحكمة, مثل, حديث, آية) أي كلّ ما يصح الاستشهاد به في أي موقف كلامي، وتحققت فيه خصائص المبادئ الحجاجيّة.

* يعرفها السّيوطي نقلا عن المرزوقي صاحب كتاب "شرح الفصيح": المثلُ جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلةٌ بذاتها، فتتسّم بالقبول، وتشتهر بالتّداول، فتنقل عمّا وردت فيه إلى كلّ ما يصح قصدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يُوجِه الظّاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تُضْرب وإن جُهِلت أسبابها... (عبد الرحمان جلال الدّين السّيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى وآخرين، منشورات المكتبة العصريّة صيدا، ط١: 1986م، بيروت، ج١، [دت]، ص 486).

محمّد: هل الشّر فيها يا سيدي أم في بعض من تكلّموا فيها إذ تعصّب كل فريق لرأيه، ثمّ كفّر بعضهم بعضا؟.

طالب ١: بل الشّر فيها وفيمن أخطأ الرّأي من أهل البدع والضّلالات فلمّا رأى أهل الصّلاح هؤلاء يوشكون على إفساد عقول العامّة كان عليهم أن يتصدّوا لهم فيلزموه الحقّ بالبيّنة القاطعة وإلّا بالسّلطان فإنّ الله تعالى يزعُ بالسّلطان ما لا يزعُ بالقرآن.

محمّد: أحسبُ أنّ هذا الرّأي هو أصل البلاء والفساد.

المعلّم: وكيف ذلك؟.

محمّد: من يقرّر وجه الصّواب على القطع ليقول أولئك هم أهل الضّلالة ورأيي هو الحقّ المطابق لمراد الله، فإنّ قالها أحد الفريقين فقد أباح للآخر أن يقول مثل قوله إذ كلاهما يرى نفسه على حقّ فأين ننتهي من هذا؟.

طالب١: أو ليس الحقّ بيّنًا كما بيّنهُ الله تعالى؟، ليس بعد الحقّ إلّا الضّلالة.

محمّد: هذا في القطعيّات التّي لا اجتهاد فيها ولا رأي.

طالب ٢: وهل ثمّة اجتهاد في تلك المسألة؟، فمن قال بتقديم الرّأي على النّقل فقد قدّم رأي البصر القُصّر على كلام الله الّذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه.

محمّد: لا ريب. ولكن وصف المسألة بهذه الطّريقة تلبيسٌ يُعقبه تحريض.

طالب ٢: ماذا؟.

محمّد: من يقول إنّه يقدّم رأيه على كلام الله معاذ الله.

طالب ٢: فما القول؟.

محمّد: لا أرى العقل والنّقل ضدّين، بل لابدّ لأحدهما من الآخر والّذي أنزل الكتاب هديًا للبشر هو الّذي خلق العقل وميّز به الإنسان عن سائر الحيوان وأناط به التّكليف فإسقاط

العقل كأنّه إسقاط للتّكليف وبه نتعقلُ النّص ونفسّره ونتأوّل التّشابه منه وننزله على الوقائع والأحداث. أمّا ما لم يرد به نصٌ قطي الثّبوت قطعي الدّلالة فنجتهد فيه بالرّأي.

طالب ٢: قد ذهبت تلك الطّائفة التّي في وُسعها أن تجتهد فتصيب لقرب عهدها بالوحي واكتمل من مجموع الاجتهادات ما يُغنى عن الجديد وليس وراء ذلك إلّا التّزيد وفتنة العقول.

محمّد: كأنّك تنعي الأمّة وتنذر بفناءها والحقّ أنّه لكلّ عصر رجاله وتنشأ فيه مسائل لم يعرفها من كان قبلنا لتطوّر العُمران واختلاف الأحوال فيكون على العلماء وأهل الحكمة أن يستنبطوا لها من الأحكام ما يوافقها. ذلك أنّه إن كانت حاجتها اليوم وأشراطها كحاجاتها وأشراطها قبل مئتي عام، فمعنى ذلك أنّ الأمّة قد بلغت حدّها ولا مزيد وليس بعد حدّ الكمال إلّا النّقصان فهل هذا ما نخرج به إلى النّاس نسبّ حاضرهم وننعي مستقبلهم ونُؤيّسهم من أنفسهم وكأنّنا في آخر الزّمان.

المعلّم: وماذا يقول البكوي؟.

البكوي: لا أحب المتكلّمين ولا أكفّرهم معاذ الله ولكن الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، فمن وقع في الشّبهات وقع في الحرام كالرّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه. فمالنا ولهذا الكلام كلّه وعندنا ما هو خير منه نخوض فيه.

محمّد: أمّا النّص الّذي نقلته عن **رسول الله** فحقٌ وذلك هو النّقل ونحتاج إلى العقل في تدّبره وانزاله وإلّا حرّفنا القول عن مواضعه فمن يقرّر الشّبهات التّي يجب أن لا نقع فيها نعم نعم هناك شبهات يجتمع عليها الرّأي، ولكن الطّامة يا سيّدي أنّ رجالا من أهل التّزمت قد جعلوا شبهات بدعوى التّحوط، قد جعلوا الدّين كله تحريما وبذلك ضيّقوا واسعًا وبقدر ما نضيق على النّاس ينفرون من الدّين ويقعون في الفتن ويستمرؤون الحرام الّذي لا شّك في حرمته. ذلك أنّ كثرة الممنوع تزيد من احتمال الوقوع فيه، وبذلك نكون قد أوردنا الخلق ما أردنا أن نجنّبهم إيّاه فهل هذا هو الرأي؟.

الاستاذ: (مطأطأ برأسه) نعم هذا هو».[1]

[1] مسلسل ربيع قرطبة: الحلقة السّادسة من الدقيقة ١٠ إلى الدّقيقة ١٥.

تحتاجُ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة إلى ضامن يضمن الفاعليّة الحجاجيّة، ولا تتحقّق هذه الأخيرة دون سياق معين وخلفيّة معرفيّة محدّدة بين المخاطِب والمخاطَب. فالمبادئ الحجاجيّة بمثابة القاعدة والبنية التحتيّة، وهذا ما يظهر هذا الحوار الّذي يتضمّن عدّة مبادئ ذات طاقة حجاجيّة مؤثرة في المتلقّي. فمن بين هذه المبادئ الحجاجيّة الواردة في هذا الحوار الّذي دار حول مسألة العقل والنّقل.

نذكر **(المثال الأوّل)**:

إنّ **الله** تعالى يزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن.

طان اقتراف المحارم اكثر ممّا يمنع بالقران؛ فبعض العباد يخافون السّلطان لئلا يسجنهم أو يضربهم أو يعاقبهم، ولا يخافون **الله** لضعف إيمانهم وقلة بصيرتهم.

صار هذا القول **(الأثر)** حجّة متداولة وشائعة يُضرب بها المثل في أي موقف كلامي يشابه موردهُ.

(المثال الثّاني):

أوليس الحقّ بيّنا كما بّينه **الله** تعالى؟

ليس بعد الحقّ إلّا الضّلالة.

وهذا القول يتناسب مع ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ، في سورة يونس، الآية ٣٢.

قال **الله** تعالى: ﴿ **فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** ﴾.

أي: فهذا الّذي اعترفتم بأنّه فاعل ذلك كلّه هو ربّكم وإلهكم الحق الّذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ أي: فكل معبود سِواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.[1]

[*] وهذا أثر معروف عن عثمان رضي **الله** عنه وهو ثابت عن عثمان بن عفان الخليفة الرّاشد الثّالث. رضي **الله** عنه. (الإمام بن باز _رحمه الله_، معنى قوله: (إنّ الله ليزغ بالسّلطان ...)، binBAZ.org.sac، تاريخ الإطلاع، ٢٠٢٠/٨/١٧).

(المثال الثّالث):

كلام الله الّذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه.

يوافق هذا القول _هو الآخر_ قوله عزّ وجلّ_ في سورة فصّلت, الآية 42

قال **الله** تعالى: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾.

أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنّه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿ **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾، أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمود عواقبه وغاياته.[2]

(المثال الرّابع):

والّذي أنزل الكتاب هديا للبشر.

وهذا معنى ما جاء في قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة_ الآية ١٨٥_ يقول عزّ وجلّ: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾. وهذا مدح للقرآن الّذي أنزل **الله** هدى لقلوب العباد ممّن آمن به وصدقه واتبعه.[3]

(النّموذج الخامس):

لكلّ عصر رجاله

استقرّ في أذهان الثّقافة العربيّة أنّ لكل عصر رجاله، وغدا ذلك مثلا متداولا في مجتمعاتنا الحاضرة، فالعصر يُقاس برجاله الذّين يولدون معه، وينمون في كنفه، ويتربون في

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم، ط ١: ٢٠٠٠م، بيروت (لبنان)، [دت]، ص 932.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ١٦٦٠.

[3] ينظر: المرجع السّابق نفسه: ص ٢٣٨.

رحابه، ويعبّرون عن توجهاته، ويخطون له قواعد حاضره، ويرسمون له سمات وملامح مستقبلية.[1]

(النّموذج السّادس):

وليس بعد حدّ الكمال إلّا النّقصان.

يعتبر هذا المثل قاعدة متعارف عليها، فكلّ من ادّعى الكمال نقص. والآية المقصودة هي قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾. المائدة _الآية ٣_ فقد أخرج "**الطّبري**" بسنده قال: حدثنا **سفيان** قال حدثنا **ابن فضيل عن هارون بن عنترة** عن أبيه قال لما نزلت: { اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له **النّبي صلّى الله عليه وسلّم:** ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا أكمل فإنّه لم يكمل شيء إلّا نقص، فقال: صدقت }.[2]

وقد ذكر أيضا في نونية " **أبي البقاء الرّندي**" ما يناسب ذلك في قوله:

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمان.[3]

وإذا تأمّلنا جيّدا في الحوار الآتي نجد أنّ الحديث النّبوي الشّريف جاء كمبدأ حجاجي وحجّة قويّة بهدف التّأثير في المخاطّبين وزيادة الإقناع عندهم وهو في قوله.

(المثال السّابع):

الحرام بّين والحلال وبينهما أمور مشتبهات، فمن وقع في الشّبهات وقع في الحرام كالرّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

[1] ينظر: حسن زايد: « عصر ورجال العصر»، pulpit, alwatan Voice.com، تاريخ النّشر: 22/5/2.16، تاريخ الإطلاع: 2020/8/17م.

[2] ينظر: Islam.Web.net، تاريخ النّشر: ٢٠٠٥.١٠.٢٦، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٠.٨.١٧.

[3] عيسى بن محمّد الشّامي: رثاء الأندلس (لأبي البقاء الرّندي)، كنوز الأندلس، دط، دب، [دت]، ص ٢٩.

وأصل الحديث ما ورد في شرح " **سنن الأربعين النّووية**" عن أبي عبد الله النّعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت **رسول الله صلى الله عليه وسلّم** يقول:{ إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من النّاس... ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالرّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...}.[1] **رواهُ البخاريّ ومسلم**

وأخيرًا نرصد مبدأ حجاجيا آخر وهو ما خُتم بالحوار

(المثال الثّامن):

ذلك أنّ كثرة الممنوع تزيد من احتمال الوقوع فيه.

وهذا القول يتوافق مع مثل رائج بيننا وهو: "**إنّ كلّ ممنوع مرغوب**" ، أو كما في بعض الأقوال "**بعيد المنال مطلوب**"، وهو حجّة قاطعة مسلّم بمصداقيتها في ثقافتنا اليوم.

إذن وبعد استخراج جلّ مبادئ الحجاجيّة التّي تنطبق عليها جميع الخصائص سالفة الذّكر من الحوار, فهي حقائق عامّة مسلّم بها من قبل الجميع، وتقيم علاقة تدريجية بين حجتين، ونسبية؛ أي أنّ نجاعتها الحجاحيّة مرتبطة بالسّياق.

ولهذا اعتبرنا الأقوال السّائرة والأبيات الشّعرية والقرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف _كما رأينا_ مواضع تداوليّة حجاجيّة مشتركة تعبّر عن الحقائق العامّة والقطعيات التّي سلّم بها التّفكير الإنساني. وهذه المبادئ الحجاجيّة منها ما ارتبط بمجال القيم والأخلاق والتّوسط والاعتدال والحقّ، وأخرى ارتبطت بخبرات وتجارب الإنسان. فنحن نلاحظ أنّ الأمثال تتضمّن قوى وطاقات حجاجيّة توظّف باعتبارها حججًا يستشهد بها بغية تحقيق غايات إقناعيّة مثبتة الدّليل، فهذه الأمثال عبارة عن حجج جاهزة تفعّل دلالتها وحجاجيتها في سياق تداولي يضمن حصول التّفاهم والتّواصل بها علما أنّ السّياق هو المحدّد الأساس في تحدّيد ضعف أو قوّة المبدأ الحجاجي.

[1] يحي بن شرف الدّين النّووي: شرح سنن الأربعين النّووية في الأحاديث الصّحيحة النّبوية، مكتبة دار الفتح، ط٤: ١٩٨٤م، دمشق، [دت]، ص ٣٢.

3_ السّلالم الحجاجية: Les échelles argumentatives

يتحقّق الحجاج اللّغوي من خلال مؤشّرات لغويّة، تُساهم في تكوين الحجاج وتوجيهه، وأخرى تضمن ترتيب الحجج من أدنى السّلم إلى أعلاه، أو من أعلاه إلى أسفله تسمى السّلم الحجاجي.

هذا الّذي عرّفهُ "**طه عبد الرحمان**" بأنّه: « عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ».[1]

ومنه نجد أن السّلم الحجاجي مجموعة مملوءة بالمحدّدات اللّغوية (الحجج والنّتيجة)، دورها تحديد العلاقة بين الأقوال وترتيبها على حسب الضّعف والقوّة من أجل الوصول إلى نتيجة مقصودة. ويمكن التّمثيل له كالآتي:

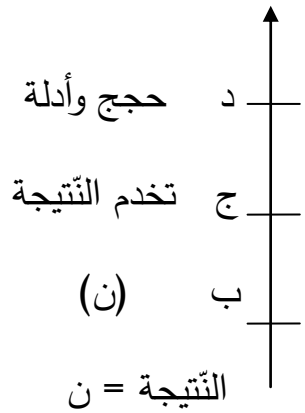

فالسّلم الحجاجي علاقة ترتيبية للحجج؛ أي فئة حجاجيّة موجهة. ويتّسم بسميتين:

الأولى: كل قول يرد في درجة ما من السّلم، يكون القول الّذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنّسبة للنّتيجة.

[1] عبد الرحمان طه: اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي, ص 277.

الثّانية: إذا كان القول (ب) يؤدّي إلى النّتيجة (ن)،
فهذا يستلزم أن (ج) و(د) يؤديان إليها أيضا والعكس غير صحيح.[1]

يتبدّى لنا أنّ الحجج الأضعف تقع في أسفل السّلم، أمّا الأقل قوّة فتقع أوسطه، والحجّة الأقوى تقع أعلاهُ بالقرب من النّتيجة؛ أي أنّ قوّة الحجّة تزداد كلما اقتربت من النّتيجة.

وهناك ثلاثة قوانين تحكم السّلم الحجاجي وهي:

1_ **قانون النّفي:** « إذا كان قول ما "أ" مستخدمًا من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه **(أي~أ)** سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة ».[2]

ويعني هذا القانون أنّ الحجج المدرجة لخدمة نتيجة معيّنة، سيكون نفيها مدرجا لخدمة نتيجة معاكسة للنّتيجة الأولى.

2_**قانون القلب:** « يرتبط هذا القانون أيضا بالنّفي, ويعد تتميما للقانون. ومفاد هذا القانون, أن السّلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية ».[3]

وكيفية اشتغال هذا القانون هو أنّ نفي حجّة من الحجج يؤدِّي إلى نفي مدلول الخطاب، ويتغيّر مع ذلك تساوق الحجج وترتيبها (نفي الحجّة الواقعة أعلى درجات سلّم الأقوال الإثباتيّة، يتحوّل إلى أسفل درجات سلّم الأقوال المنفيّة).

3_قانون الخفض: يوضّح قانون الخفض الفكرة التّي ترى أنّ النّفي اللّغوي الوصفي يكون مساويًا للعبارة:"moin que" ومثاله: الجوّ ليس باردً بمعنى نستبعد التّأويلات التّي مفادها الجو شديد البرودة أو قارس، حيث يؤول هذا القول بـ: إذا لم يكن الجوّ باردً، فهو دافئ أو حار.[4]

[1] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج، ص 20، 21.
[2] المرجع نفسه: ص 22.
[3] المرجع السّابق نفسه: ص ٢٢.
[4] ينظر: المرجع نفسه: ص ٢٤.

وعلى العموم فإنّ هذه القوانين الحجاجيّة استراتيجيّة خطابيّة مبنية على مجموعة من الحجج يسوقها المتكلم على حسب قوّتها وضعفها ودرجة تأثيرها في المتلقّي (تراتبيًّا وتدريجيّا وهذا الّذي يكسب الحجج طبيعة السّليمة). حيث تسهمُ هذه القوانين في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز محتواه الخبري، ممّا يعني أنّ القيمة الحجاجيّة مسجّلة في البنية اللّغويّة، لذا لا يمكن الحكم عليها بالصّدق أو الكذب.[1]

وقد يختار المرسل حججه التّي تنتمي إلى سلّم واحد، ما يضمن له التّدليل على قصده، وعدم تناقضها، بل وليؤكد كلّ منها ما قيل قبلها، أو ليؤكّد ماهو مضمر في درجات السّلم؛ لذلك يبدأ بأدناها مرتبة ويرّتبها في سلميّة واحدة.[2]

يرتبط السّلم الحجاجي بعدّة مفاهيم تساعد على ضبط العمليّة الحجاجيّة، من خلال وصفها للأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوّتها الحجاجيّتين في فئة حجاجيّة تخدم نتيجة واحدة . ولنا نظرة في ذلك:

1_ الوجهة أو الإتجاه الحجاجي: L'orientation argumentative

« وهي الإتّجاه الّذي [يعيّن] للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره. إنّ الوجهة الحجاجيّة هي خاصيّة من خصائص الجملة، موضوع أداء القول وهي التّي تحدّد معنى القول... ».[3]

معنى ذلك أنّ الإتّجاه الحجاجي هو خاصيّة لغويّة ودلاليّة للقول، كما أنّه مسار محدّد الوجهة الحجاجيّة ومقيّد لمعناها غايته الوصول إلى استنتاج ما (نتيجة) ولا يحصل ذلك إلّا بـ: « حضور الواسمات اللّغويّة المختصّة في تعيين الوجهة الحجاجيّة ».[4]

---

[1] ينظر: شكري المبخوت: « الحجاج في اللّغة »، من كتاب النّظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم ، ص ٣٧٠.

[1] ينظر: بن ظافر الشّهري: استراتجيات الخطاب, ص 502.

[3] جاك موشلر وآن ريبول, القاموس الموسوعي للتّداوليّة, ص 337.

[4] المرجع نفسه: ص ٣٣٨.

هذه الواسمات هي العوامل التّي تحدّد وجهة الجملة وتقيّد احتمالات القول عندما يُعيّن لها مسار حجاجي (وجهة حجاجيّة) يؤدّي إلى نتيجة مخصوصة دون غيرها. حيث تجدر الإشارة إلى الفرق القائم بين النّتيجة والوجهة الحجاجيّة* ؛ فالأولى قول ضمني أو صريح أُستخدمت من أجله الحجّة، أمّا الثّانية هي الإتّجاه المسند إلى الجملة.[1]

ومن ثمّ يتراءى لنا من خلال هذا المخطط:[2]

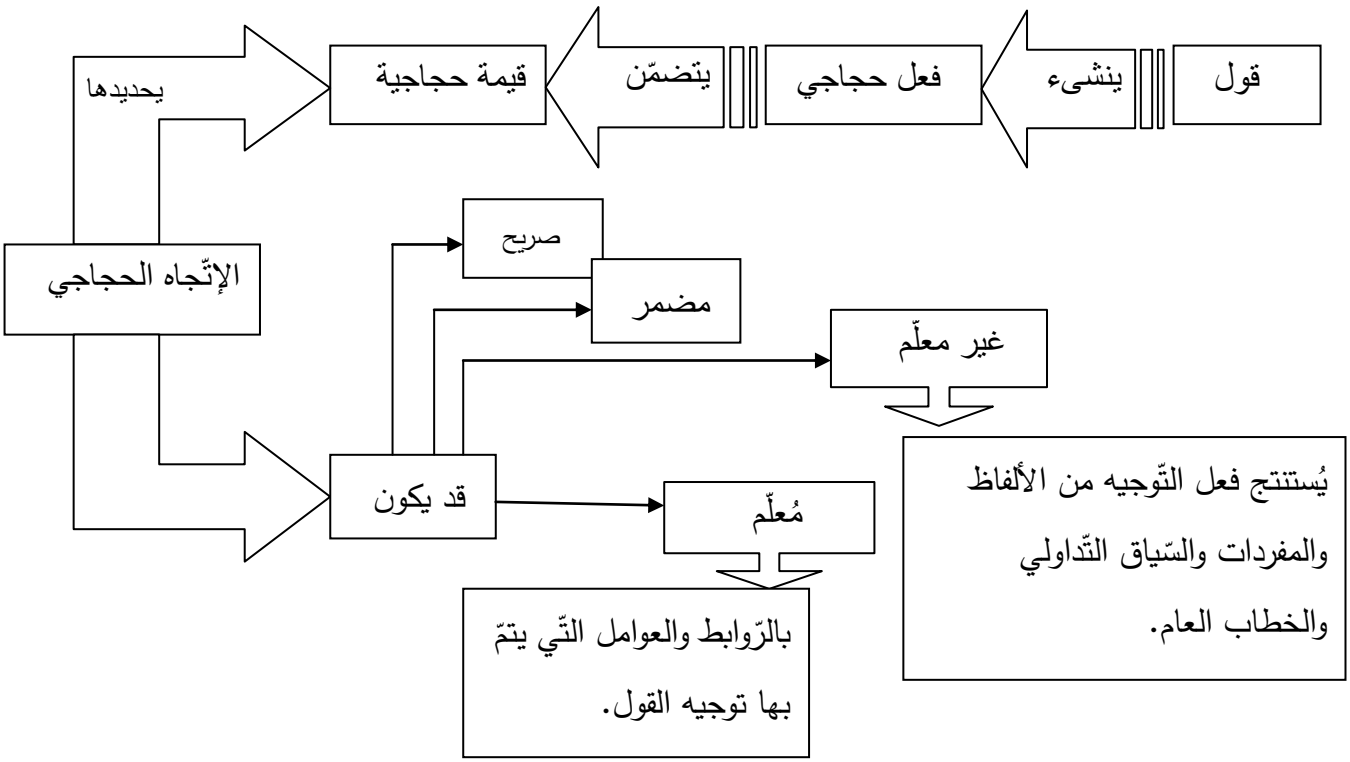

2/ القيمة الحجاجيّة: Valeur argumentative

مفهومٌ هو الآخر في غاية من الأهميّة فإنّ:« « القيمة الحجاجية للكلمة هي بمقتضى تعريفها الوجهة التّي تحدّدها للخطاب هذه الكلمة »، يطابق التّوجيه الحجاجي للكلمة معناها (نفسه). هكذا فالمعنى اللّغوي لكلمة « ذكي» لا ينبغي البحث عنه في قيمته الوصفيّة لقدرة

* التّوجيه الحجاجي يكون نتيجة فعل يوجّه العبارة حجاجيا؛ ويفرض على المتلقّي إجراءً تأويليًا دقيقًا. والنّتيجة أحد العناصر المحدّدة لفعل الحجاج الّذي يوجه العبارة لخدمة نتيجة معينة. (ينظر: محمد طروس: النّظريّة الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة اللّسانيّة، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، الدّار البيضاء (المغرب)، [دت]، ص ١٣٣).

[1] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج، ص ٢٥.

(تقاس بحاصل الذكاء ح.ذ)، وإنّما في الإتّجاه الّذي يفرضه استعمالها في ملفوظ على خطاب لاحق... ».[1]

مُؤدّى هذا القول هو أنّ الأقوال التّي تحمل وظيفة حجاجيّة تخرج بالقول من حيّز المحتوى الخبري إلى القيمة الحجاجيّة التّي يمكن الحكم عليها لا بالصّدق ولا بالكذب،* بل استعمالها هو الذي يفرض الإتّجاه الحجاجي في الخطاب؛ لأنّ القيمة الحجاجيّة هي التّي توجهه وتحدّد المسار الّذي ينبغي أن يسير فيه. ذلك أنّ القيمة الحجاجيّة للقول لا تنتج فقط من المعلومات التّي يحملها، وإنّما من العبارات أو الصّيغ الأسلوبيّة، التّي تسند الوجهة الحجاجيّة للمقول؛ أي أنّ المقول تحمل في ذاته تعبير عن السّمة الحجاجيّة، وهي سمة تتنوع حسب المتكلّمين وتبعا لأوضاع الخطاب.[2]

3/ الفئة الحجاجيّة: Classe argumentative

تختلف الحجج التّي يصوغها المحاجج بحسب غايته ومراده، وتتفاوت بحسب القوّة والضّعف مكوّنة بذلك علاقة حجاجيّة فيما بينها تؤدّي إلى نتيجة واحدة. لذا يمثّل كلّ سلم حجاجي فئة حجاجيّة موجهة وغير متساوية القيمة الحجاجيّة.

وقد اقترح "**ديكرو**" مفهومًا لها المتمثل في: فاعل لساني (متكلم) وضع مقولين (ج) و(ج') داخل (ف ح) بواسطة المقول (م)؛ إذ اعتبر (ج) و(ج') حجتين لخدمة (م). ممّا يجعل مقولة الفئة الحجاجيّة مرتبطة كليّا بنتيجة خاصة وبمتكلم تحدّده الوضعيّة المقاميّة، وبحجتين توجهان لخدمة (م).

وبهذا المعنى فإنّ نظام الحجج قائم على معيار التّفاوت في درجات القوّة والضّعف، وعلى سلمية الحجّة الأكثر قوّة

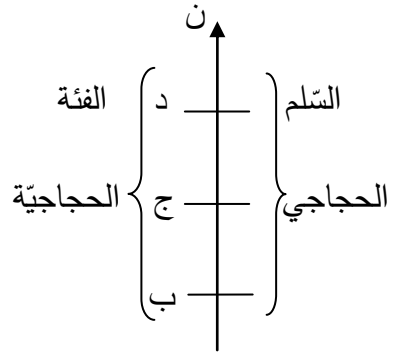

حيث أنّ (ب+ج+د) كلها حجج مرتبة ومدرجة في سبيل دفع المتلقي للإذعان والتّسليم ب (ن)؛ أي النّتيجة.

[1] باتريك شارودو ودومنيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

* الخطاب الحجاجي يعتمد على قيم الإثبات والنّفي، بدلًا مما يعتمد على الصّدق قضيه ما. (ينظر: مثنى كاظم صادق: أسلوبيّة الحجاج التّداولي والبلاغي تنظ عدنان، ط١: ٢٠١٥م، الجزائر العاصمة (الجزائر)، [دت]، ص ١١٨).

[2] ينظر: محمد طروس: النّظريّة الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة

والأكثر ضعفا. ذلك أنّ الفئة الحجاجيّة تنتظم بواسطة علاقة سلمية.[1]

ولو أجيز لنا تمثيل الفئة الحجاجيّة، يمكن أن نلخصّه في هذا الشّكل الموالي:

4/ القوّة الحجاجيّة: Force argumentative

إنّ الحجج لا تتوزّع اعتباطًا ولا تنبني من فراغ ولا تُساق في سياق معزول، إنّما تحكمها علاقة تراتُبيّة وتدريجيّة من حيث القوّة والضّعف، وتعرف هذه العلاقة بالقوّة الحجاجيّة.* وقد تنتظمُ ضمن فئة حجاجيّة واحدة. لكنّها تتفاوت من ناحية القوّة والضّعف فما وقع أعلى السّلم يعدّ أقوى الحجج وما دونهُ أضعف الحجج.

والحجّة _حسب التّصور الجديد_ عنصر دلالي يقدّمه المتكلّم لصالح عنصر دلالي آخر، تَرِدُ على شكل قول أو فقرة أو نص، وقد تكون مشهدًا طبيعيًّا أو سلوكا غير لفظي، وقد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السّياق.[2] وتتسّم بجملة من السّمات وهي:

أ_ سياقية: « فإنّ العنصر الدّلالي الّذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، السّياق هو الّذي يصيرهُ حجّة، وهو الّذي يمنحه طبيعته الحجاجيّة، ثم إنّ العبارة الواحدة قد تكون حجّة، أو قد غير ذلك يحسب السّياق ».[1]

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص ٩٥، ٩٦.

* مفهوم القوّة يشمل مجال اللّغة كما يشمل غيرها من العلوم الأخرى (الفيزياء، علم النّفس...) وفي اللّغة عبارة عن معاني ترتبط بالتّأثير والتّغيير وقد استعمله:

- فلاسفة اللّغة العادية (القوّة الإنجازيّة).
- ديكرو عندما تحدّث عن (القوّة الحجاجية).
- روّاد اللّسانيات المعرفيّة (القوّة المعرفيّة).

ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص ١٣٤.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ١٨.

إنّ الحجّة اللّغويّة تكتسب صيغة حجاجيّة من السّياق الّذي تردُ فيه. ممّا يعني أنّ له دورًا فاعلا في الحجاج.

ب_ نسبية: « فلكل حجّة قوّة حجاجيّة معينة، فقد يقدّم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادّة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القويّة والحجج الضعيفة والحجج والأوهى والأضعف ».[2]

درجة قوّة وضعف الحجج ليست قارّة؛ أي أنّها تتفاوت بحسب النّتيجة ويتحكّم فيها السّياق (حجج تعدّ الأقوى في سياق معيّن قد تكون أسفل درجات السّلم في سياق آخر). فهي تترتّب بحسب نسبة الضّعف والقوّة.

ج_ قابلة للإبطال:« إنّ الحجاج اللّغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرّياضي الّذي هو مطلق وحتمي. والعلاقة التّي تربط بين الحجّة والنّتيجة هي التّي تدعى "**العلاقة الحجاجية**" وهي تختلف، بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الإستنتاج المنطقي... ».[3]

ومن ذلك فإنّ مجال الحجاج اللّغوي* المُحتمل والممكن (الغير ضروري)، حيث تكون الحجج فيه رهينة السّياقات (فما يقبل في سياق قد يبطل في آخر)، ونتائجه غير قطعية وحتمية. إذ أنّ منطلق نظريّة السّلالم الحجاجيّة إقرارها التّام بتلازم الحجج والنّتيجة، ومعنى ذلك هو أن الحجّة لا تكون حجّة بالنّسبة إلى المتكلم إلّا بإضافتها إلى النّتيجة، مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية.[4] فالحجّة تستلزم النّتيجة.

---

[1] أبو بكر العزّاوي: " الحجاج والمعنى الحجاجي"، من كتاب التّحاجج: طبيعته، ومجالاته، ووظائفه وضوابطه، ص ٥٩.

[2] المرجع نفسه: الصّفحة نفسها.

[3] المرجع السّابق نفسه: الصفحة نفسها.

* إنّ عمل المحاجّة باعتباره علاقة بين حجة ونتيجة مختلف عن عمل الاستدلال فالمحاجّة علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين وهذه الخاصيّة التّي تجعله مرتبطا باللّغة الطّبيعيّة وليس ناتج عن منطق غير صوري. (شكري المبخوت: "الحجاج في اللّغة"، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص ٣٦٣).

[4] ينظر: المرجع نفسه: الصّفحة نفسها.

يترتّب ممّا سبق رصدهُ أنّ للحجاج[**] خاصيّة توجيهيّة، وخاصيّة تدرجيّة لتضمنّه قيمة لغويّة تحدّدها وجهتها وقوّتها الحجاجيّتين، وبخضوعه للمجريات السّياقيّة داخل الإستراتيجيّة الخطابية. في فئة حجاجيّة تخدم نتيجة واحدة.

تتلّخص وتتجسّد كل هذه المسوّغات الحجاحيّة في سلّم يرصد فعل التّوجيه ويتحرّى المسار الحجاجي، فيُرّتب الحجج المتمايزة (قوّة وضعفا) لبلوغ النّتيجة المتوخّاة.

ولإيضاح ما طرحناهُ سنعمدُ إلى إعطاء صورة تطبيقيّة موجزة عن السّلالم الحجاجيّة، من خلال بعض الحوارات الواردة في المسلسل. والتّمثيل لها بنماذج وافية ومبسّطة.

(الحوار الرّابع):

محمّد: ويحسب الجاهل أنّه إذا دخل الزّهراء فقد خرج من الجحيم إلى النّعيم. أمّا و**الله** إنّها ساحة حرب، حرب في داخلك وحرب في خارجك إلّا أنّ عدّتها غير السّيف والرّمح وأنّ توازن فتعرف مواطن الضّعف في خصمك أو خصومك ونعم مواطن القوّة فيهم أيضا وإن خفيت ثم تعرف كيف تصرف بعضها ضدّ بعض في أوانها.

عمرو: وما عُدّتك أنت فيها؟.

**

الحجاج Argumentation	الاستدلال البرهاني Démonstration
مسار حواري يستخدم أحكام القيمة (برهنة جدلية).	منطق صوري يقبل اللّبس (برهنة تحليلية)
هدفه الإقناع عل أسس عقلية.	مساره كوني يخاطب الإدراك
البرهنة ليست شخصية (موجهة إلى طرف (ما) وهي ليست ملزمة).	برهنة لا شخصية وهي ملزِمة
مجاله الرأي والممكن (العرف).	مجاله اليقينيات.
الحجج فيه تكون كثيرة نسبيا.	حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة.
جمهوره خاص لكن يقصد به جمهور كونيا.	جمهوره كوني.

(ينظر: عبد الله صوله: الحجاج في القرآن الكريم, ص ٣١).

محمّد: الصّبر والمصابرة وطول الأناة واحتساب والموعد والوعد ومعاينة اليوم الذّي تكره بعين اليوم الّذي ترجو وتحب، ومُداراة القوّى السّفيه حتّى تتمكّن منه.

عمرو: المصانعة.

محمّد: المصانعة إن شئت، فالحرب خدعة ثمّ فتح الضّد القبيح بالضّد الحسن. تقدير المصحفي ضدّهُ الكرم والبَذْل وجبر العثرات.

عمرو: ومالّذي في يدك حتّى تُكرم به؟.

محمّد: سيكون. ألم أذكر الصّبر والمصابرة وطول الأناة. ضعف رأي **المصحفي** وتردّده ضدّه الحسم والعزم والمبادرة إلى عظائم الأمور والمخاطرة الّتي يرشدها الرّأي، جهل **المصحفي** بالحرب والعسكر والجيش هنا موطن الشوكة.

عمرو: وما صلتك أنت بالجيش والحرب؟ ليس لك سبيل إلى جيش الثّغور مهما بلغت مع **غالب النّاصري** على رأسه. وليس لك سبيل إلى الحرس الصّقلبي.

محمّد: جيش الحضرة هذا الجيش المظلوم الذي يقيم في قرطبة فلا هو يشارك جيش الثّغور أمجاده ولا له موطن في الزهراء والعين غافلة عنه فهو إذن وجهتي وملاذي.

عمرو: ولكن كل هذا على شرط المستقبل.

محمّد: المستقبل هو الآن ومعي ما ليس معهم جميعا، الصّبي، الصّبي.

عمرو: وأمّهُ.

محمّد: ما الذي تعنيه؟.

عمرو: تعلم ما أعني.

محمّد: لا لا أعلم ما تعني.

عمرو: لا تحسبنِ أبله وإن لم أكن في مثل ذكائك.

محمّد: هلّا شققت على صدري.

عمرو: لا حاجة لي بذلك، جوارحك تشي بك، عيناك عيناك التّي تسرقان كلّما ذكرتها، الحال الّتي تكون عليها كلّما عدت من لقائها، والحال التي تكون عليها حينما لا تلقاها.

محمّد: ما شاء الله ما صدّقت أنّي فرغت من **زياد** وتعليقاته حتّى....

عمرو: لا تغضب لا تغضب إنّي لك من النّاصحين.

محمّد: لا تنصحني حتّى أستنصحك.

عمرو: إنّه لمركب صعب وبحر متلاطم الموج قد تجد فيه قوّتك وقد يكون فيه هلاكك.

محمّد: معاذ الله أن أخون وليّ نعمتي. والآن لا نترك عائشة تنتظر فقد آن آوان الطّعام.

عمرو: أنصت يا محمّد. والله لا أشك أنك ستدرك غايتك.

محمّد: إنّها غاية النّاس. الأندلس.

عمرو: وهي غايتي كذلك ولكن هذه الأسباب والطّرق التي بتريد أن نتوسّلها لبلوغ الغاية، قد يختلط فيها الحق بالباطل ويُلابسها الرّيب، المباطنة والمصانعة واغتنام الفرص وضرب الضّد بالضّد، ثمّ أمّ ولد الخليفة وتوصّلك بها إلى بلوغ حاجتك كلّ هذا.

محمّد: إنّها الحرب والحرب خدعة ومناط النظر سموّ الغاية بل ضرورتها في حال الأندلس الآن، والحكيم من قدّر الأمور قبل وقوعها خليفة مكتهل وولد طفل وليس وراءه غير المصاحفة والموالي والصّقالبة لا يحركّهم إلّا الطّمع، وهذا مع عدوّ يتربّص على الثّغور. إنّه مستقبل الأندلس يا **عمر** وهذه هي الغاية ثمّ تحذّر من الوسيلة التّي لا أملك غيرها والقاعدة ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب. إذن فالوسيلة مهما كانت مهما كانت من حكم الغاية.

عمرو: هل تسلمُ الغاية النّبيلة من أثر الوسيلة المُريبة؟. لست مشفقا على خصومك يا محمّد فهم كما تصف ولكنّي مشفق عليك أخشى أن تضِلّ طريقك في تلك الغاية.

محمّد: اشفق منّي منّي، ولا تشفق علي».[1]

إنّ بناء السّلم الحجاجي _ كما ذكر من قبل_ يعتمد على تفاوت القوّة والضّعف بين الحجج الّتي تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة بإضافة عامل المقام وملابسات الخطاب. وعليه يمكننا التّمثيل بالسّلالم الحجاجيّة (وقوانينها) للحجج والّنتائج المذكورة في الحوار.

والتالي يوضح ذلك

1/_ قانون النّفي: ويمكن التّمثيل له من خلال: **(المثال الأوّل):**

عمرو: وما عدّتك أنت فيها؟.

محمّد: الصّبر والمصابرة وطول الأناة واحتساب الموعد والوعد ومعاينة اليوم الذّي تكره بعين اليوم الذي ترجو وتحب، ومُداراة القوّى السّفيه حتّى تتمكّن منه.

(إثبات صفة الصّبر والتّمكن) (ن)

ج6 ـــ مُداراة القوي السّفيه حتّى تتمكن منه.

ج5 ـــ معاينة اليوم الّذي تكره بعين اليوم الّذي ترجو وتحب.

ج4 ـــ احتساب الموعد والوعد.

ج3 ـــ طول الأناة.

ح2 ـــ المصابرة.

ح1 ـــ الصّبر.

[1] مسلسل ربيع قرطبة: الحلقة العاشرة من الدّقيقة ٤١ إلى الدّقيقة ٤٦.

ح1 عدم مُدارة القوي السّفيه حتّى تتمكن منه.

ح2 عدم معاينة اليوم الّذي تكره بعين اليوم الّذي ترجو وتحب.

ح3 عدم احتساب الموعد والوعد.

ح4 عدم طول الأناة.

ح5 عدم المصابرة.

ح6 عدم الصّبر.

(نفي صفة الصّبر والتّمكن) (ن-)

الصّبر والتّمكن).

٢/_ قانون ا لقلب: المخطّط الآتي يبيّن بوضوح كيفية اشتغال هذا القانون:

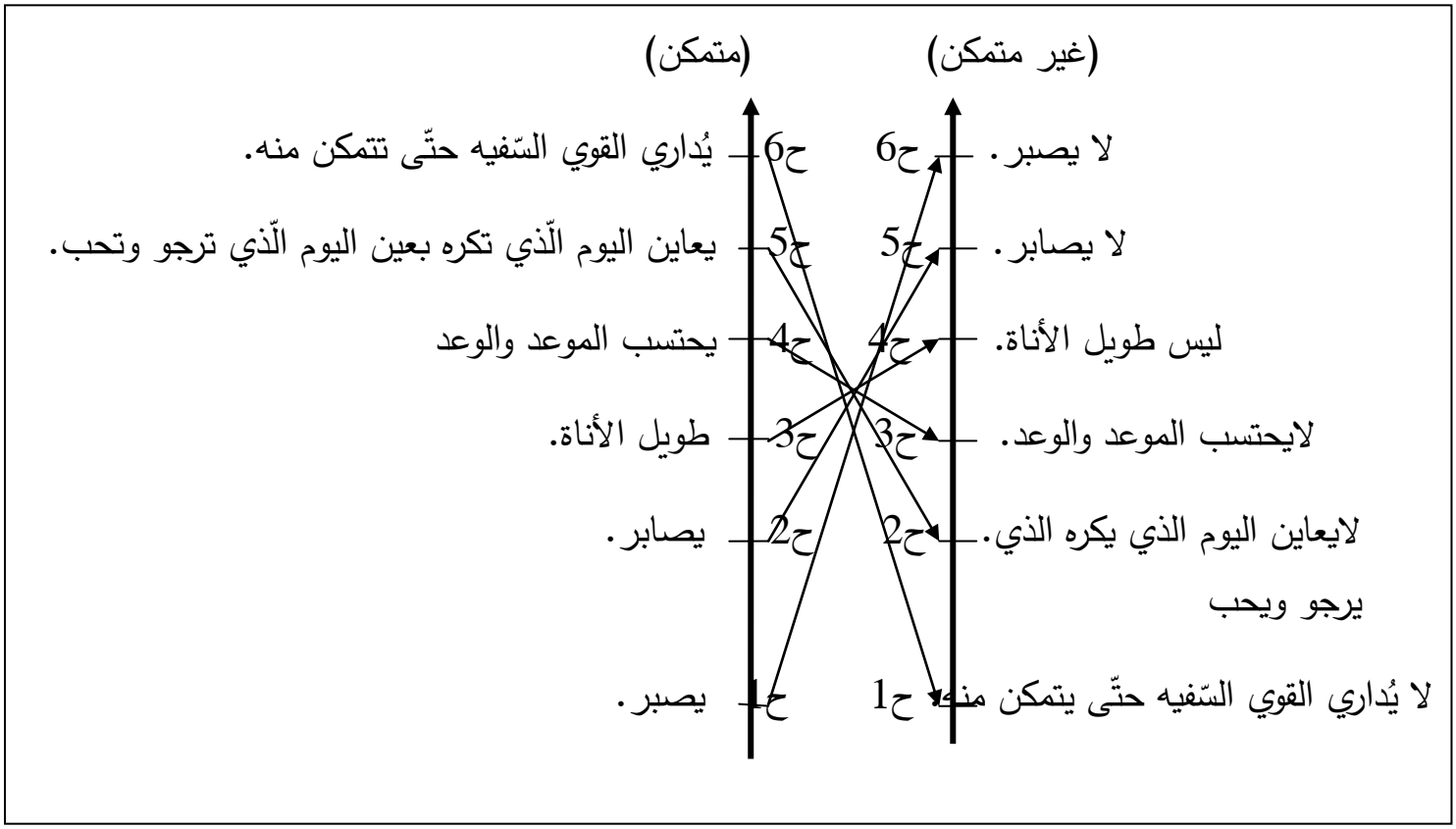

يُلاحظ من خلال هذا السّلم أنّ أقوّى وأعلى حجّة في سلّم الإثبات، قُلِبت أضعف وأدنى حجّة في سلّم النّفي. وقد رتّبت الحجج على حسب درجة قوّتها وضعفها _وهذا معلومًا_ فالصّبر هو حبس النّفس على ما تكره، أمّا المصابرة فهي استمرارية الصّبر، وطول الأناة هي احتمال الخطأ والاهتمام بخير المسيء. وهكذا تدّرجت وتساوقت الحجج من الأضعف قوّة إلى الأقوى لخدمة نتيجة واحدة.

٣/_ قانون ا لـخفض: ونمثّل له من خلال **(ا لـمثال ا لـتّالي):**

عمرو: هل تَسلمُ الغاية النّبيلة من أثر الوسيلة المُريبة؟, لست مشفقا على خصومك يا **محمّد** فهم كما تصف, ولكنّي مشفق عليك أخشى أن تضلّ طريقك في تلك الغاية.

استعماله (المتكلّم) لعبارة منفية من قبيل " لست مشفقا على خصومك" فإنّ إثباتها لا يكون بأنّه قاسٍ, فقد يكون حنونا أو طيّبا في بعض المواضع. فمثلا هنا المتكلّم **(عمر)** لم يشفق على خصوم **محمّد** في موضع، لكنّه اشفق على **محمّد** في موضع آخر.

4_ الفعل الكلامي: Acte de langage

يقصد التّداوليون بمفهوم الفعل* الانطلاق من أنّ اللّغة ليست مجرد تمثيل ووصف للعالم، وإنّما هي فعل إنجاز؛ فمعنى أن نتكلّم هو أن نفعل شيئا، أن ندشّن معنى. أمّا فيما يتعلّق بمفهوم السّياق فهو مفهوم أساسي في العُرف التّداولي، وذلك انطلاقا من أنّه العنصر الّذي يتحدّد من خلاله المقصد، ومن دونه لا نستطيع أن نفهم أو نقوّم ما يقال، أمّا مفهوم الإنجاز فهو عمليّة إنجاز الفعل في السّياق.[1]

وتكلم هي الجوانب الإنجازية للعلامة؛ فالاقوال _حسب هذا المنظور_ لا تتمثّل وظيفتها في الإخبار ولا تصف أي واقع ولا تخضع لمعيار الصّدق والكذب، إنّما هي أقوال إنجازيّة وتقييميّة وملتبسة. كقولك:

* نذكّر أنّ أخذنا بمصطلح اللّفظ اللّغوي ترجمة لـ "Verbe" ويراد به الفعل اللّغوي (الّذي هو أحد أقسام الكلام)، أمّا مصطلح "الفعل" فهو ترجمة لـ "acte" ويراد به الفعل أو السّلوك الفردي أو الإجتماعي أو المؤسساتي: كإصدار الأوامر والقرارات والوعود، وطرح الأسئلة، وإبرم العقود والمعاهدات، وإبداء المشاعر... (مسعود صحرواي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في اللّسانيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر (باتنة)، سنة ٢٠٠٣/٢٠٠٤م، ص ٧٣).

[1] ينظر: فرانسوا أرمينيكو: المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، الرّباط (المغرب)، [دت]، ص ٩.

_ أعلن عن افتتاح جلسة (فعل الافتتاح فعل إنجازي).

_ رأيت عينا (التباس دلالي معجمي).

_ هذا الطّالب ذكي (حكم قيمي).

هذا النّمط من المفاهيم هو الّذي شكّل نقطة انطلاق ظهور اتّجاه دلالي آخر يرى أنّ اللّغات الطّبيعيّة لا تصف وإنّما تنجز أفعال معيّنة يُعرف بالدّلاليات اللّاوضعية مناقض للإتّجاه الوصفي.[1] حيث أصبحت اللّغة في ظلّ هذا التّصوّر الجديد وسيلة للتّأثير في العالم وتغيير السّلوك وإنجاز أفعال في سياقات ومواقف معيّنة. بعدما كانت مُجرّد نظام من الرّموز وظيفتها الأساس النّقل والإخبار.

وما يهمّنا هو ما نصّ عليه "**ديكرو**" إذ يقرّر: « أنّ اللّغة عبارة عن صيغة للفعل، وليست مجرد توصيل لمعلومات، كما أنّها تقوم على علاقات إنسانيّة تفرض على مستعمليها أشكالا محدّدة للتّواصل ».[2]

فمن هذا المنطلق يتّضح بأنّ اللّغة إنجاز لأفعال أكثر منها وصف لحالات. كما أنّ الفعل الحجاجي عبارة عن نظام متوارٍ في صميم الخطابات وقوانينها الدّاخلية، وليس بناء منطقي مفروض عليها، فالكشف عن هذا النّظام يتطلّب تأسيس تداوليّة تدمج المكوّن التّداولي في البنية الدّلاليّة، وتسند إليه دورًا محوريّا لفهم الملفوظات.[3]

ولأنّ كل فعل لغوي* مَنُوطٌ بقصد وغاية، فإنّ وظيفته تداوليّة حجاجيّة (لارتباطه بالسّياق ولإشراك المتلقّي فيما يعتقدهُ المتكلم الّذي يرسل كلامه عن قصد هدفه التّأثير والإقناع)

[1] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج، ص ١١٤، ١١٥.

[2] Ducrot Oswald “dire et ne pas dire”, Herman, Paris, 1972,p4.

نقلا عن: جواد ختام: التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص ١٣١.

[3] المرجع نفسه: ص ١٣٢.

* هو الفعل المؤسَّس من قبل متكلّم يتمتَّع بصلاحيات معينة، ومن ثمّ فهو فعل اجتماعي أو فردي أو مؤسّساتي. (المرجع نفسه: ص ٧٣).

تهدف إلى تحقيق أهداف وتغيير أفكار واعتقادات وإنجاز أفعالا ما. فمن الملاحظ أنّ الفعل اللغويّ فعل يحقّق أفعال إنجازية كالطّلب والوعد والوعيد والتّهديد... ومن ثمّ أفعالًا تأثيريّة تخصّ ردود أفعال متلقّيها كالرّفض والقبول والإقبال والإحجام...

فهذا المنجز اللّغوي لا يقف عند حدود النّطق؛ بل يتعدّاه إلى تفعيل القوّة المتضمّنة في الفعل، ثمّ الوصول بذلك إلى النّمط التّأثيري الّذي يريده المتكلّم من المتلقّي. ولهذا فإنّ أبرز خصائص الفعل اللّغوي أنّه:

1. فعل دال
2. فعل إنجازي: ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعيّة بالكلمات.
3. فعل تأثيري: يترك آثار معينة في الواقع.[1]

ومنه يمكن أن نقرّ بأنّ الملفوظ (الكلام) يتضمّن فعلا حجاجيّا كون الفعل الأخير يدلّ على النّتيجة والأثر الّذي يتركه الفعلان الأوّلان على متلقي الكلام.

وما يجدر أن نركّز عليه "الحجاج اللّغوي" الّذي انبثق من داخل "نظريّة أفعال الكلام"[*]؛ حيث قام "**ديكرو**" بتطوير أفكار "**أوستين**" و"**سيرل**" (وخاصّة أفكار أستاذه الأوّل)

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي، ص ٦٩.

[*] نظرية شاملة أنشأها "أوستين" مميّزًا فيها بين ثلاث أفعال (actes) التّي لا ترتبط بالقول فقط، بل هي أعمال وسلوكات اجتماعيّة، تتم بمجرد التّلفظ بها وهي:

- فعل القول: ويُراد به اطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة ويشمل على: فعل صوتي وفعل تركيبي وفعل دلالي.

  ➢ موضوع الدّراسة البنويّة والدّراسة التّوليديّة.

- الفعل المتضمّن في القول: من أمثلته السّؤال أو إجابة السّؤال، تأكيدات أو تقديم معلومات...., فالفرق بين الأوّل والثّاني هو أنّ الأوّل: القيام بفعل هو قول شيء، والثّاني: قيام بفعل ضمن قول شيء؛ أي أنّه يشتمل على أصوات وخاضع لقواعد وحاصل لدلالة ما، ويحتوي على مفهوم آخر "القوّة" (قوّة الأمر، قوّة التّحذير...).

- الفعل النّاتج عن القول: التّسبّب في نشوء آثار في مشاعر، أو أفكار أو أفعال المخاطب أو المتكلم أو غيرهما ومن أمثلته الإقناع، التّضليل...

انطلاقا من:

1. إضافة فعلين لغويّين وهما فعل " الاقتضاء" و"فعل الحجاج".

2. إعادة تعريف "الإنجاز" **L'illocutoire** بأنّه فعل لغويّ موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونيّة، أي مجموعة من الحقوق والواجبات.[1]

فجوهر الفعل هو الإنجاز، ومن هنا يتراءى لنا أنّ وظيفة اللّغة من منظور" نظريّة أفعال الكلام" إنجازيّة، أمّا من منظور" نظريّة الحجاج في اللّغة "حجاجيّة. وقد اتضّح ذلك من خلال ربط اللّغة بسياقات استعمالاتها وفق مقاصد القول وغاياته المبنيّة على التّأثير وتحويل هذه الأقوال إلى أفعال منجزة. لذا فإنّ « الحجاج مؤسّس على بنية الأقوال اللّغويّة وعلى تسلسلها داخل الخطاب »[2]؛ أي أنّ الحجاج فعل لغويّ منجز من طرف المتكلّم لا يسع لإقناع والتّأثير فقط، وإنّما يرمي إلى تحقيق أفعال غائية وإنجازيّة في الواقع.

وما يهمّنا من هذا كلّه تعريف "**ديكرو**" للفعل* إذ يعده كل نشاط يقوم به شخص معين يمكن اعتباره فعلا أو عملا، ومن أبرز خصائصه:[3]

➢ موضوع الدّراسة التّداوليّة.

(ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص ٧٥، ٧٨. وينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، دط، الكويت، ١٩٩٤م، ص ٨،9).

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، ص ١٥، ١٦.

[2] المرجع السّابق نفسه: ص ١٧.

* اقتران الحجاج في التّعريفات المتداولة بفعل التّأثير في الخطاب؛ حيث يتوخّى المتكلّم حمل المخاطَب عل الإذعان والإقتناع بفكرة أو موقف ما، من خلال إثارة عواطفه وانفعالاته. (مثل هذا تتبناهُ البلاغة القديمة والجديدة على حدّ السّواء) في مقابل ذلك انشغل "ديكرو" والحجاج باعتباره فعلا لغويّا مثبّتا في صميم البنية اللّغويّة للملفوظ. (ينظر: جواد ختام: التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، ص ١٤٤، ١٤٥)

[3] ينظر:أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج, ص ١١٨.

تنجز هذه الأفعال داخل اللّغة وبواسطتها؛ فهي أقوال بسبب طبيعتها اللّغويّة، وأفعال لأنّها تهدف إلى تحويل الواقع أو تغيير العلاقة مع العالم.

1. **فعل لغويّ:** يحقّق فعلًا معيّنًا لنشاط يهدف إلى تحويل الواقع.
2. **فعل قانوني:** هو نشاط يهدف إلى تحويل العلاقات الشّرعيّة والقانونيّة بين الأشخاص المعنيّين.
3. **فعل مؤسّساتي:** يرتبط إنجازه وتحقيقه بمؤسّسات اجتماعيّة.
4. **فعل قصدي:** التّعرف على قصد المتكلّم يعين على معرفة الفعل اللّغوي المنجَز.
5. **فعل سياقي:** لا يمكن النّظر إليه بمعزل عن السّياق.
6. **فعل عُرفي:** نجاحُه متعلّق بشروط استعماله وملاءمته للسّياق.

إذن غير خفيّ علينا وعلى جلّ الدّارسين أنّ " **أوزوالد ديكرو**" قفز قفزة نوعيّة في الدّرس التّداولي، من خلال نظرته المغايرة والمخالفة للتّصورات الدّلاليّة والمنطقيّة السّابقة من خلال مفهوم الحجاج والإقتضاء؛ إذ اعتبر الأوّل فعلا لغويًّا حجاجيًّا مسجّل في بنية اللّغة مضاف إلى نظريّة الفعل اللّغوي، في حين اعتبر كذلك الثّاني فعل مضمر مؤشّر له في بنية القول وفعل دلالي حاضرا في بنية القول محدّدا بسياق معيّن.

لقد حظِي الاقتضاء (Présupposition) بقسطٍ وافر من اهتمام الدّراسات المنطقيّة والفلسفيّة وحتى اللّغويّة منها الدّلاليّة ثمّ التّداوليّة، كونه أداة المعنى وشكل من أشكاله، فهو من التّقنيات الإيحائيّة (المضمرة) التّي يجنح إليها المتكلّم عند إنتاجه ملفوظًا ما. إذ هو السّبب الرّئيس والمسألة اللّغويّة التّي كانت وراء تطوّر التّداوليّة المندمجة؛ التّي انصبت دراستها على تتبّع تأثّر الدّلالات اللّغويّة بشروط استعمال اللّغة. وهذا ماراح إليه "**آن ريبول**" و"**جاك موشلار**" وقد عرّفاهُ بأنّه المضمون الّذي تبلّغه الجملة بطريقة غير صريحة[1]. ومثّلا له بعبارة "كفّ زيد عن ضرب زوجته"، التّي تُحيل بصريح العبارة على أنّ زيد لا يضرب زوجته الآن (وهذا هو المحتوى المقرّر والإخبار)، كما أنّها تُحيل بكيفيّة غير صريحة على أنّ زيدا ضرب زوجته فيما مضى (وهذا هو المحتوى المقتضى أو الاقتضاء).[2]

وقد قدم "**ديكرو**" تعريفا تداوليّا مندمجا للاقتضاء، فليس « الاقتضاء عندهُ هو ما يضمن استمرار الخطاب وحسب، بل إنّ القائل وهو ينتج عملا متضمّنا في القول إخباريا مثل "ملك فرنسا حكيم" ينجز بصفة ثانوية عملا متضمّنا في القول اقتضائيا؛ أي عملا مقنّنا اصطلاحيا في اللّغة ».[3]

وبهذا ينجلي لنا أنّ المقتضي لدى "**ديكرو**" دلالة متضمّنة في الملفوظ، بل إنّها جزء لا يتجزّأ من دلالته. لكن لا يمكننا الجزم بذلك لأنّ مسألة الاقتضاء تجاذبتها عدّة مجالات، وخاصّة وأنّ مقاربة "**ديكرو**" مستمدّة من آراء "**فريجه**" و"**راسل**" **Frege/Russell** المنطقيّة والفلسفيّة، وهذا ما أدّى إلى جدال كون الاقتضاء يمثل شرطا للمحتوى (الدّلالة)، أم أنّه يمثل شرطا للاستعمال (التّداوليّة)؛ بمعنى إذ عرّفنا الاقتضاء بأنّه شرط للمحتوى، فهذا يصرف الذّهن إلى اعتبار الاقتضاءات محتويات لا تحتكم في تحديدها إلى مبدإ صدق أو كذب الجملة، فإذا قرّر "**بيار**" أنّ "ملك فرنسا حكيم" فإنّ جملته تقتضي أنّه يوجد "ملك لفرنسا"،

[1] ينظر: آن ريبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين غفوس، محمد الشّيباني، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، ط١: ٢٠٠٣م، بيروت (لبنان)، [دت]، ص ٤٧.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه: ص ٤٩.

وسواء أكانت هذه الجملة صادقة أم كاذبة فإنّه بالإمكان أن نتبيّن أنّ اقتضاءها صادق دائما، ذلك لأسباب تعود إلى التّماسك المنطقي.[1]

أمّا المدافعون عن اعتبار شرطًا للاستعمال, فيرون أنّ كل جملة نتلفّظ بها ويكون اقتضاؤها كاذبا هي جملة لا معنى لها؛ أي لا يمكن وصفها بأنّها صادقة أو كاذبة ومن ثمّ خلص" **آن ريبول** و**جاك موشلار**" إلى أنّ الموقف التّداولي بالرّغم من أنّه لم يقدم حلا لمسألة الاقتضاء أكثر إقناعا من الموقف المنطقي، لكنه مع ذلك سجّل نجاحًا كبيرًا لأنّه جعل من الاقتضاء مسألة تداوليّة، وهو ما ينبغي قبوله في التّواصل حتّى يتسنّى للمخاطبين أن يتفاهموا.[2]

كما تجدُر الإشارة إلى أن الضّمني عند "**ديكرو**" يشمل الاقتضاء (الّذي يعدّهُ عملا من الأعمال اللّغويّة ذا قوّة متضمّنة في القول) والمضمر؛ فالمقتضى يظهر في الملفوظ، والمضمر يقتضيه الملفوظ. لنا مثلا " سكّيني السّويسري الظّريف لا يفي بالغرض" مقتضاه أنّ للمتكلّم "سكّين"، ومضمره أنّه يريد مساعدة، وقد تمّ ذلك عبر تأويل التّلفظ على أساس بعض القواعد المحادثيّة.[3]

وما ينبغي تأكيده مرّة أخرى، اعتبار"**ديكرو**" الاقتضاء عملا لغويًّا؛ لأنّ له آثار شبيهة بتلك التّي لسائر الأعمال اللّغويّة.[4]

وهذا الاقتراح نتيجة الإشارة التّي جاء بها "**ستراسن**" في التّصور الدّلالي فحواها أنّ الاقتضاء علاقة تداوليّة بين الأقوال، وتلميحه أيضا إلى أنّ المتكلم هو من يقتضي وهي فكرة مهدّت لعدِّ الاقتضاء عملا لغويًّا لدى "**ديكرو**"، وطوّرت البحث التّداولي. وذلك من خلال اتّجاهين:

---

[1] ينظر: المرجع السّابق نفسه, ص 48.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر: فيليب بلانشيه: التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط١: ٢٠٠٧م، [دت]، ص ١٦٤.

[4] ينظر: المرجع نفسه: ص ١٥٠.

- اتّجاه تداولي مع "**ستالكنر**": اعتبر المقتضيات مجموع الاعتقادات الخلفيّة لأقوال المتكلّم، وثمّ ربط المقتضيات بالاعتقاد.

- اتجاه ثانٍ نحوي وظيفي نظر إلى الاقتضاء بوصفه عملا لغويًّا، وأقرّ بالدّور الّذي تقوم به المقتضيات في تحقيق انسجام الخطاب.[1]

وعودًا على ذي بدء يقول "**ديكرو**" معرّفا المفهوم Le sous-entendu والمنطوق Le posé والمقتضى Le présupposé في سياق كلامي واحد: أمّا المنطوق فهو ما أثبته أنا بصفتي متكلّما وأمّا المقتضى فهو ما أقدمه على أنّه مشترك بيني وبين مخاطبي وأمّا المفهوم فهو ما أترك مخاطبي يستنتجه من كلامي.[2]

حيث يلحّ "**ديكرو**" على الفصل بين المقتضى والمفهوم؛ فالأوّل ذو طبيعة لسانيّة محضة في حين الثّاني يتداخل فيه العنصر المقالي بالمقامي لإظهاره. هذا من جهة ومن جهة أخرى المقتضى نصل إليه برائزين من طبيعة لسانيّة هما مقولتي النّفي، والاستفهام، في حين أنّ المفهوم لا صلة له بالبنيّة اللّغويّة والتّحوير التّركيبي، ولابد للإشارة _كما صرّح بذلك "**ديكرو**" ما من خطاب / ملفوظ إلّا ويحتوي على مفهوم (المقام هو أساس معنى المفهوم).[3]

وفي موضع يفصل "**ديكرو**" بينهما* حسب معيار الضّمائر إذ المقتضى مصدره "النّحن" Nous, والمنطوق يحدّده الأنا le moi أمّا المفهوم فليس من مسؤول عنه إلّا الأنت.[1]

---

[1] ينظر: لطفي الشّيباني: المقتضيات Les Présupposition في الدّرس التّداولي _ ديكرو أنموذجا_ bilarbiya.net/6945.html، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٠/8/٦.

[2] ينظر: عزّ الدّين الناجح: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص ٣٩.

[3] ينظر: المرجع نفسه: ص ٦٨، ٦٩.

* يمكن التّمييز داخل قول بين المنطوق والمُقتضى وإذا انطلقنا من الشّاهد « أقلع جان عن التّدخين »، كان المنطوق «جان لا يدخّن» والمقتضَى « كان جان يدخّن» ولمعرفة إن كانت جملة ما مقتضى قول آخر أوّلًا يطلب تحويل القول إلى صيغة الاستفهام أو إدخال أداة نفي عليه. فإن حصلنا على نفس الجملة أو القضية كان ذلك هو المقتضَى ألا ترى أنك سواء قلت: أقلع زيد عن التّدخين أو هل أقلع زيد عن التّدخين أو لم يقلع زيد عن التّدخين فإنّنا نحصل دائما على كان جان يدخّن: إذن فإنّ هذه الجملة هي بالفعل هي المقتضَى بالنّسبة إلى القول أقلع زيد عن التّدخين. (جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ص ٥٧٤).

ومن هذا المنطلق سنحاول الكشف عن الآليات التّي تُسهم في تحقيق الفعل اللّغوي (القوّة الانجازيّة والآثار المترتّبة عنها) من خلال دراسة علاقة الأفعال بالمقام وما يتّصل به من قرائن الأحوال، وبخصائص مكوّناتها وربطها بمعانيها المختلفة باختلاف السّياقات التّي ترد فيها، وبحسب درجة تأثيرها في المتلقي أثناء العمليّة التّخاطبيّة. دون أن ننسى علاقة المتكلم بالمتلقي (الحالة النّفسيّة والذّهنيّة والثّقافيّة) وتحقيقا لكل ذلك سنقوم بتحديد الأفعال اللّغويّة _ وعلى وجه الخصوص_ فعل الحجاج وفعل الاقتضاء؛ فالأوّل الغرض منه تدعيم حجّة معينة، والثّاني بما أنّه فعل مندرج في المكوّن اللّغوي، ومنظّم لإطار الخطاب (بين طرفاه) والمكوّن الأساس للسّياق التّداولي المستفاد من الملفوظ. فإنّ هذان الفعلان لهما وظيفة حجاجيّة تهدف إلي توجيه المتلقي نحو نتيجة ما أو صرفه عنها. وهذا ما يجعل القول الحجاجي مرهونا بالعمل وفي حالة انتفاء العمل يصبح الدّليل على القول حجّة ضدّ المتكلّم. ونورد فيما يلي مقطعًا حواريًّا يُبيّن ما نرمي إليه.

(الحوار الخامس)

« **صبح:** ولدي, هل أنت بخير يا سيدي؟.

هشام: أنا بخير.

صبح: أو قد بلغ بك أيّها الخائن اللّعين.

محمّد: حمدًا **لله** على سلامتك يامولاي كيف دخل هذا اللعين؟, من يسّر الدّخول له فهو شريكه.

عبد الملك بن منذر: قُبض على **جؤذر** هل يَكشف أمرنا؟

صاحب الشّرطة العليا: أمر من؟.

والفرق بين التّضمين والاقتضاء Préposition كون العلاقة التّضمينية بين ملفوظين تعني أنّه من المتناقض تأكيد الأوّل وإنكار الثّاني، بينما العلاقة الاقتضائيّة بين ملفوظين تعني أن صدق الأخير شرط لصدق الأوّل. (محمد نظيف: الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي، ص ٤٥).

[1] ينظر: المرجع السّابق نفسه: ص ٦٩.

عبد الملك: أمرك وأمرنا.

صاحب الشّرطة العليا: سبحان **الله** أنا عدّت من دار الشّرطة العليا إلى بيتي ولا أعلم بشيء. أيّها الجند تقبضوا عليهم.

الملك المنصور: ضاعفوا الحرس على جميع مداخل القصر ومخارجه ولا يدخل أحد على الخليفة إلّا بإذني حتّى ولو بادر الخليفة فدعا أحد إليه, فلا يدخل عليه حتّى ولو كان بيده رقعة من الخليفة نفسه حتى يأتيني فأجيزه بخاتمي ويصحبه حرس إلى الخليفة لا يبارحونه حتّى يخرج من عنده فإذا خرج عاد إليّ الحضور بشهادة على كلّ ما قيل وجرى عند الخليفة. ولا يخرج الخليفة من القصر إلى أنحاء الزّهراء حتّى تستبقوا إلي يا **سكر** برغبة الخليفة فأتعهد خروجه بنفسي لإعلم أنّه في أمان. لا تهاون بعد الذّي جرى مهما كان الثّمن.

صاحب الشّرطة العليا: تقبضت على المتآمرين جميعًا يا سيدي وأودتعهم سجن الزّهراء.

الملك المنصور: من؟, وكيف توصلت إليهم؟.

صاحب الشّرطة العليا: منذ أن علمي بالخبر نشرت الشّرطة وعيوني في كل مكان يتحرّون ويسألون عمن إجتمع بالشّقي **جؤذر** وفي الأيام الأخيرة واستعملت الوعد والوعيد حتّى عرفت رؤوس المؤامرة, **القاضي عبد الملك بن منذر** هو رأسها المدبر مع" **جُؤذر**" ومعهم بعض الفقهاء المتزمتين ».[1]

1/ فعل الحجاج:

النّاظر في المقطع الحواري يلحظ حظورًا مكثفًا لعدّة أفعال لغويّة من قِبَل (الإستفهام والنّداء والأمر والنّهي) صيغت كلها انطلاقًا من المقام؛ فالمعنى التّواصلي للفعل اللّغوي لا يخضع لخصائص العبارة الصّورية فقط, إنّما يخضع بكيفيّة أوليّة لسياق والوضعيّة المنجز فيهما. وفي هذا المستوى يرتبط الحجاج بالفعل اللّغوي داخل الحدث اللّغوي المكوّن لسياق الفعل التّواصلي.[2]

[1] مسلسم ربيع قرطبة: الحلقة الرّابعة والعشرين من الدّقيقة 11 إلى الدّقيقة 13.

[2] ينظر: محمّد طروس: النّظرية الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة, ص 120.

ونشرح ذلك أكثر بتوضيح تداعيّات التّفاعل التّواصلي التّي دار فيها الحوار.

أ_ المقام: ارتبطت الأفعال اللّغويّة بالموقف الكلامي الّذي أنتج فيه الكلام, وقد ضبطت هذه الأفعال بضوابط لغويّة ومعطيات غير لغويّة أتاحها الاستعمال اللّغوي. وفي هذا السّياق أنتج الحوار اللّغوي انطلاقا من لغة مشتركة وافتراضات مسبقة شكّلت مرجعيّة معرفيّة أساسيّة في بنائه وتشكيل بنيته الحجاجيّة.

ولقد لاحظنا ورود عدّة روابط وعوامل حجاجيّة وأفعالًا لغويّة أضفت السّمة الحجاجيّة على الحدث اللّغوي, وكل ذلك من أجل تحقيق غايات إقناعيّة وإنجازيّة تدعو إلى استجابة المتلقّي لما ومطلوب منه.

ب_ المتكلّم والمخاطب: شكّلت العلاقات والمعطيات المرجعيّة والمعرفيّة المشتركة بين طرفي الحوار, نجاح التّواصل والتّفاهم في إطار العمليّة الحجاجيّة.

ج_ الأفعال اللّغويّة: تشكّلت في الحوار على صورة حجج ذات قوّة إنجازيّة و حجاجيّة سِيقتْ وفق استراتيجيّة حواريّة مقصودة هدفها بلوغ غاية فعل الحجاج. الفعل اللّغوي الّذي يحكم الأفعال اللّغويّة الاخرى, ويوجّهها لخدمة غاياته.[1]

وقد تتدخّل كفاءة المتكلّم التّداولية والحجاجيّة, بما يمكّنهُ من إنتاج الفعل اللّغوي المحقّق لمقاصده، فيجنح إلى استعمال أسلوبا من الأساليب اللّغويّة (الانشائيّة) التّي تُسعفه لتحقيق الفاعليّة الانجازيّة والحجاجيّة المؤسّسة في جوهرها على معطيات سياقيّة. ولقد وردت هذه الأفعال اللّغويّة مختلفة إزاء إختلاف القصد والغاية.

3_1: فعل الإستفهام: الّذي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل وذلك بأداة من أحدى أدواته.[2]

فعل الإستفهام الانجازي	غرضه الحجاجي

[1] ينظر: أبو بكر العزّاوي: الخطاب والحجاج, ص 56.

[2] ينظر: السّيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة, ص 78.

1_ هل أنت بخير يا سيّدي؟.	_ الاستئناس
2_ كيف دخل هذا اللّعين؟.	_ التّعجب والتّحقير.
3_ هل يكشف أمرنا؟.	_ التّنبيه.
4_من؟ وكيف توصلت إليهم؟.	_ التّشويق.

شكّلت هذه الأفعال اللّغويّة حججا متساندة تخدم نتائج يرومها المحاجج إثر الحدث اللّغوي.

3_2: **فعل النّداء**: وهو طلب المتكلّم إقبال المخاطَب عليه.[1]

فعل النّداء الإنجازي	غرضه الحجاجي
1_ يا سيّدي.	_ إظهار الحزن.
2_ أيّها الخائن اللّعين.	_ الزّجر.
3_ يا مولاي.	_ الاختصاص وإظهار الحزن.
4_ أيّها الجند تقبضوا عليهم.	_ الحرص والتّنبيه.
5_ يا سكر.	_ الاختصاص.

مثّلث هذه الأفعال اللّغويّة **(النّداء)** حججا دارت حول غرض الطّلب. فهذا الفعل لا يبتعد عن سابقه, إذ أنّه يسعى لتحقيق نتيجة ما.

3_3: فعل الأمر: يُسمّي البلاغيّون هذا الوجه من الطّلب بأنّه طلب على وجه الإستعلاء.[2]

فعل الأمر الإنجازي	غرضه الحجاجي

[1] ينظر: المرجع السّابق نفسه, ص 89.

[2] ينظر: مصطفى الصّاوي الجويني: البلاغة العربيّة تاصيل وتجديد, النّاشر المعارف, دط, الاسكندرية, [دت], ص 22.

ضاعِفوا الحرس على جميع مداخل القصر ومخارجه.	الحرص وإتخاذ الحيطة الحذر.

تشكل هذه العبارة فعلًا حجاجيًا أمريًّا إنجازيًّا يخدم نتيجة فحواها اجتناب الخطر على الخليفة " **المؤيد بالله**".

3_**4: فعل النّهي:** وهو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء.[1]

فعل النّهي الإنجازي	غرضه الحجاجي
1_ لايدخل أحد على الخليفة إلّا بإذني.	_ الإرشاد والتّهديد
2_ لا يدخل عليه حتّى لو كان بيده رقعة من الخليفة نفسه.	_ الدّاوم.
3_لا يخرج الخليفة من القصر إلى أنحاء الزّهراء.	_ الإرشاد.
4_ لا تهاون بعد الّذي جري مهما كان الثّمن.	_ إنذار وتحذير

هذه الحجج جاءت على صيغة أفعال حجاجيّة متساوقة ذات وجهة حجاجيّة واحدة وهي إتخاذ التّدابير والحرص الشّديد على حياة الخليفة " **المؤيد بالله**", وهذا الفعل الحجاجي (النّهي) له تأثير قوّي وبليغ فالبيان والاقناع.

2/_ **فعل الاقتضاء**

(الحوار السّادس):

محمّد: لأوصيك بأمّي.

[1] ينظر: المرجع نفسه, ص 23.

عمرو: بل توصيني بك, كم معك من الزّاد؟, لا بأس طعام واحد يكفي إثنين.

محمّد: تسافر معي (وهو مندهش).

عمرو: إذا وعدتني أن تستوزرني إن توليتَ الحجابة.[1]

تضمّن هذا المقطع الحواري حضورًا فاعلًا لفعل الاقتضاء فقول محمّد: "لأوصيك بأمّي". مقتضاه:

- أنّه مسافر.
- أمّه على قيد الحياة.
- المخاطَب **عمرو** يقربه صلة.

أمّا قول **عمرو**" توصيني بك".

مقتضاه أنّه:

- مسافر هو أيضا.
- سيصحب "**محمّد**" وليس أحدًا آخر.

مستندًا في حوراه على مبدأ حجاجي يمثّل الخلفيّة المشتركة بين طرفا الحوار" طعام واحد يكفي اثنين", وهذا ما أنتج فعل استنتاج لدى **محمّد** ألا وهو سفر **عمرو** معه إلى قرطبة.

وردّ **عمرو** بـ: " إذا وعدتني أن تستوزر ني إن توليت الحجابة" ومقتضى هذا القول هو حلم محمد بتحقيق الغاية "

[1] مسلسل ربيع قرطبة: الحلقة الأوّلى من الدّقيقة 38 إلى 39.

خاتمـــــــــــــــــــــــة:

بعد التَّطواف في ميادين البحث كافّة، أحطّ رحلي عند الخاتمة، التّي أرجو أن تلمّ أهمّ النّتائج المتوصّل إليها, من خلال البحث الّذي سلّط أضواءهُ على أحد أبرز تيّارات التّداوليّة وتحديدًا تيار التّداوليّة المدمجة؛ الّذي أعاد الدّرس التّداولي إلى نوعها اللّسانيّة بدمجه بين دلالة التّركيب والتّداوليّة. مركّزًا على الوظيفة الحجاجيّة المنغرسة في البُنى اللّغويّة، ومعتمدًا على أدوات إجرائيّة تنطلق من اللّغة وتعود إليها, لتصبح اللّغة _عند أصحاب هذا التّيار_ تُدَرسُ من خلال التّركيب اللّغوي، ثمّ تعالج تداوليّا بالبحث في الأثر الّذي يحدثه الملفوظ؛ أي أنّ الحجاج مُنطبع في البناء اللّغوي للوقائع بحيث لا يمكن الفصل بينهما, فهو يكمن في اللّغة ذاتها ولا يحصل إلّا بها. وهذا هو موضوع نظرية "**الحجاج في اللّغة** " التّي انبثقت من صلب نظريّة الأفعال الكلاميّة.

فالحجاج إذن بوصفه استراتيجيّة خطَابيّة، كان له حضورًا مكثّفا في مدوّنة بحثنا، إذ يتمّ تحقيقه بمراعاة السّياق اللّغوي وطبقا للمقام الّذي أنجز فيه القول؛ أي أنّ استعماله مرهون بمجموعة من المعطيات منها ما يرتبط بالمتكلّم، ومنها ما يتعلّق بالمتلقّي، ومنها ما يُفهم من القول اللّغوي نفسه وهذا هو لبّ تداوليّة الحجاج.

ولعلّ دراسة المسلسل وفق تصوّر هذه النّظرية كشف جوانب عدّة من تلك الاستراتيجيّة الحجاجيّة, التّي رسمها المخرج في سيناريو المسلسل ليكوّن مجموعة حوارات دراميّة متداولة بين المتحاورين. وسنشير بدقّة إلى النّتائج المحصّلة إثر هذا البحث، ومن أهمّها:

- غزارة الأدوات اللّغويّة للحجاج؛ إذ ساهمت الرّوابط الحجاجيّة في تحقيق الرّبط والتّرتيب بين الحجج التّي تؤدّي إلى نتيجة ما، إمّا تعارضا وإبطالا وإمّا تساوقا. أمّا العوامل الحجاجيّة فعملت على تقييد الإمكانات وحصرها بما يسمح لخدمة نتيجة معيّنة، فمنها ما جاء للتّقوية والتّوجيه ومنها ما جاء للتّوكيد وتحديد مسارات التّأويلات. وقد ظهرت في المدوّنة قيمتهما الحجاجيّة في تحقيق الإقناع بين المتخاطبين.

- المبادئ الحجاجية قوام نظريّة "**الحجاج في اللّغة**"؛ فالعمليّة التّخاطبيّة تستند على مبدأ عام ومشترك بين المتخاطبين للوصول بالخطاب إلى الغايّة المقصودة. ولأنّ أغلب أشكال التّواصل تقوم بالأساس على قاعدة تضمن ضمان التّفاهم بين الطّرفين. فمن خلال المدوّنة قاربنا ظاهرة المثل، وأدرجنا تحتها الحِكم والأحاديث النّبويّة الشّريفة وحتّى الآيات القرآنية، باعتبارهم مبادئ عامّة مشتركة ذات طاقات حجاجيّة مسلّم بصدقها وصحتّها لدى فئة لغويّة ما. كما لاحظنا أنّ هذه المبادئ لا تصلح ولا تنجح من غير سياق محدّد وخلفيّة معرفيّة معيّنة بين المخاطِب والمخاطَب متّفق عليها, فهي الضّامن الأساس لنجاح عملية التّحاجج والتّخاطب.

- السّلم الحجاجي مفهوم آخر يؤسّس لسلميّة الحجج بحسب تفاوتها قوّة وضعفا، حيث تحكمه ثلاث قوانين قلب ونفي وخفض. ولقد تعقّبنا عدّة حوارات ومثّلنا لسلّميتها ووجدنا أنّ سلميّة الحجج متوافرة في كل فئة حجاجيّة تخدم نتيجة واحدة. إذ أنّها الآليّة الأنسب لتحقيق هدف الإقناع لدى المتلقّي بدءًا بأضعفها قوّة وأدناها رتبة إلى أعلاها وأقواها تأثيرًا, فليس معقولا أن تتساوى الحجج وإلّا ما تعدّدت.

- يعدّ _حسب نظريّة الحجاج في اللّغة_ فعل الحجاج وفعل الاقتضاء أهمّ الأفعال اللّغويّة قوّة وتأثيرًا، لاحتواءهما على شحنات حجاجيّة ذات قوّة تأثيريّة تتعلق بالإنجاز الفعلي للأحداث في الواقع. ولقد بدا لنا من خلال بعض المقاطع المختارة من المدوّنة تجسّدت في أفعال النّهي و الأمر والاستفهام...

ولقد سعينا من وراء بحثنا هذا إلى ما يلي:

- إبراز بعض جوانب الحجاج اللّغوي.
- بيان أهميّة التّحليل الحجاجي للظواهر اللّغويّة بمختلف أنماطها وأنواعها، بما أنّه ظاهرة لغويّة موجودة في كل قول.

- توسيع حدود النّظريّة وتطويرها وتطويعها حسب مجال تطبيقها على نصوص مختلفة لدراسة ظواهر لغويّة جديدة.

وإذا كنّا قد حقّقنا بعض الأهداف المرجوّة، فهناك أهدافا أخرى لم تتمكن من تحقيقها لأسباب عدّة؛ فقد أشرنا إلى قضايا عديدة في مضان البحث بشكل مقتضب وذكر موجز، وأخرى لم ندرجها قط بالرّغم ممّا جمعناه من معلومات بشأنها بهدف فهم واستيعاب المادّة العلميّة المدرجة في البحث. وحتّى الدّراسة التّطبيقيّة كانت بحاجة إلى التّفصيل والشّرح أكثر ممّا طرحناه.

ولسدّ نقص دراستنا هذه نوصي ببعض التّوصيات التّي تخدم الدّرس الحجاجي اللّغوي الحديث, الّذي لا زال ينمو ويتطوّر ويُضاف إليه الجديد. وهذه التّوصيات بأن تقوم دراسات لسانيّة تداولي,ة تتناول _ تنظيرًا وتطبيقا_ الخطابات الشّفويّة لإبراز مدى نجاعة تطبيق هذا النّوع من الحجاج على هكذا خطابات, والاهتمام بخطابات اللّغة اليوميّة (المدوّنات الكلاميّة) ومقاربتها تداوليّا حجاجيّا لتطوير الدّرس الحجاجي اللّغوي عند العرب. وأقصد بذلك الحذو نحوى الباحث المغربي " **أبو بكر العزّاوي**". ولا أظنّ أنّ هذه الدّراسة خالية من الأخطاء والهفوات، لذا نلتمس من كلّ من يتصفّحها أن يرشدنا إلى الصّواب ويبصّرنا بعيوبنا. ولهذا أضع هذا العمل بين يدي كلّ من خاض في ميدان الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، وحاول توجيه هذه الدّراسة إلى أنساق مختلفة, خاصّة وأن نظريّة " **الحجاج في اللّغة**" نظريّة بِكر تحتاج إلى مزيد من البناء النّظري والتّطبيقي. ويمكن القول عنها أنّها نظريّة مازالت لم تستقر مفاهيمها بعد، ولم ترسم حدودها ومجالات تطبيقاتها.

وفي الختـــــــام أسألـــه تعالـــى أن يهـيء لـي من أمـــري رشـــدا، وأن يهدينـــــي سواء السّبيـــل، وأن يجعلنـــي ممّن يتّبـــع صراطـــه المستقيـــم، لا السّبـــل التّي تتفـــرّق بـي عن سبيلـــه، هو نعـــم المولـــى ونعم النّصيـــر، وآخـــر دعوانا أن الحمـــد لله ربّ العالميـــــــــــــن.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم برواية حفص بن عاصم.

1/_ المصادر:

❖ مُسلسل ربيع قرطبة.

2/_ المراجع:

أ_ الكتب العربيّة:

1. ابن الآبار: الخلة السّيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط١، القاهرة، ج١, ١٩٦٣م.

2. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس, تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة)، دار الكتاب اللّبناني، ط2: 1989م، (بيروت), ج١, [دت].

3. ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ.ليفي بروقنسال، دار الثقافة، ط2: ١٩٨٥م، بيروت (لبنان)، ج٢, 1980م.

4. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم، ط ١: ٢٠٠٠م، بيروت (لبنان)، [دت].

5. ابن يعيش: شرح المفصل، المنيرية، دط، مصر، ج ٨، [دت].

6. أبو بكر العزاوي: « الحجاج والمعنى الحجاجي »، من كتاب التّحاجج: طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط1: 2006م، الرّباط، [دت].

7. أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج, مؤسسة الرّحاب الحديثة, ط1: 2010م, بيروت (لبنان), 2010م.

8. أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج, الأحمدية, ط1: 2006م, الدّار البيضاء, 2006م.

9. أبو وليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التّركي، دار العرب الإسلامي، ط2: 1987م، [دت].

10. أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني: معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشّروق، ط٢: ١٩٨١م، جدّة (السّعودية)، [دت].

11. أحمد المختار العبّادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النّهضة العربيّة، دط، بيروت, [دت].

12. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة صيدا، دط، بيروت، [دت].

13. أسامة فرحات: المونولوج بين الدّراما والشّعر، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، دط، القاهرة، ١٩٤٤م.

14. بهاء الدّين محمد مزيد: تبسيط التّداولية، شمس للنّشر والتّوزيع، ط1: 2010، القاهرة, [دت].

15. جواد ختام: التّداولية أصولها واتجاهاتها, دار كنوز المعرفة, ط1: 2016م, عمان, [دت].

16. الحافظ جلال الدّين عبد الرحمان السّيوطي: بُغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2: 1979م، [دب], ج1، [دت].

17. الحُميدي: جُذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس, تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008م، تونس, [دت].

18. حورية محمّد حمو: حركة النّقد المسرحي في سوريا (1967م – 1988م)، اتّحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1998م.

19. خليل إبراهيم السّامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، ط١، بنغازي (ليبيا), [دت].

20. رشاد رشدي: نظرية الدّراما من أرسطو إلى الآن، هلا للنّشر والتّوزيع، ط١: ٢٠٠٠م، الجيزة, [دت].

21. سيبويه: الكتاب, تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988م، القاهرة، ج1، [دت].

22. السّيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، دط، لبنان, [دت].

23. شكري المبخوت: « نظريّة الحجاج في اللّغة , من كتاب أهمّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، كليّة الآداب منوبة، دط, تونس، [دت].

24. صابرة الحباشة: التّداولية والحجاج (مداخل ونصوص), صفحات للدّراسات والنّشر، دط، دمشق(سورية)، 2008م.

25. طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيّين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، دط، الكويت، ١٩٩٤م.

26. عبد الرّحمان جلال الدّين السّيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى وآخرين، منشورات المكتبة العصريّة صيدا، ط١: 1986م، بيروت، ج١، [دت].

27. عبد الرحمان طه: اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي, المركز الثّقافي العربي, ط1: 1998م, الدّار البيضاء (المغرب), [د ت].

28. عبد الرّحمان طه: تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي, ط2, الدّار البيضاء (المغرب), [دت].

29. عبد الرّحمان طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام, المركز الثّقافي العربي, ط2: 2000م, الدّار البيضاء (المغرب), [دت].

30. عبد السّلام إسماعيلي علوي: « ما التّداوليات؟ », من كتاب التّداوليات علم استعمال اللّغة, عالم الكتب الحديث, ط2: 2014م, إربد (الأردن), [دت].

31. عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج)، أفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠١٢م، الدّار البيضاء (المغرب)، [دت].

32. عبد اللطيف سلامي: المدخل الى فن المناظرة, داربلومزبري, ط1, 2014م, قطر, [دت].

33. عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2: 2007م، بيروت (لبنان)، [دت].

34. عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب, _مقاربة لغويّة تداوليّة_ دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 2004م، بنغازي (ليبيا)، [دت].

35. عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الإصطلاحيّة، دار الفكر العربي، ط٣: ١٩٩٢م، القاهرة، [دت].

36. عز الدّين النّاجح: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، مكتبة علاء الدّين، ط1: 2011م، صفاقص (تونس)، 2011م.

37. عيسى بن محمّد الشّامي: رثاء الأندلس (لأبي البقاء الرّندي)، كنوز الأندلس، دط، دب، [دت].

38. لطيف حاتم الزّاملي: « حجاجيّة الرّوابط والعوامل في الجزء الثّلاثين من " القرآن الكريم" _مقاربة في ضوء التّداوليّة المدمجة_ »، من كتاب الحجاج بين النّظريّة والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، ط1: 2000م، إربد (الأردن)، 2020م.

39. مثنى كاظم صادق: أسلوبيّة الحجاج التّداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السّور المكية، دار ومكتبة عدنان، ط١: ٢٠١٥م، الجزائر العاصمة (الجزائر)، [دت].

40. محمد خطابي: لسانيات النّص, المركز الثقافي العربي, ط1: 1991م, الدّار البيضاء (المغرب), [دت].

41. محمد طروس: النّظريّة الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة اللّسانيّة، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، الدّار البيضاء (المغرب)، [دت].

42. محمّد عبد الباسط عيد: في حجاج النّص الشّعري، إفريقيا الشّرق، دط، الدّار البيضاء (المغرب)، 2013م, [دت].

43. محمد عمارة: الدّراما التّاريخية وتحديات الواقع المعاصر، مكتبة الشّروق الدّولية، ط١: ٢٠٠٥م، القاهرة، [دت].

44. محمد محمد عمارة: دراما الجريمة التّلفزيونيّة، (دراسة سوسيوإعلاميّة)، دار العلوم، ط١، ٢٠٠٨، القاهرة, [دت].

45. محمد محيي الدّين عبد الحميد: التّعليقات البهيّة على التّحفة السّنية بشرح المقدّمة الأجرومية، تح: كريم بن إبراهيم بن محمّد، مكتبة ابن عباس، ط١:٢٠١٢م، مصر، [دت].

46. محمد نظيف: الحوار وخصائص التّفاعل التّواصلي (دراسة تطبيقيّة في اللّسانيات التّداولية)، أفريقيا الشّرق، دط، الدّار البيضاء (المغرب)، ٢٠١٠م.

47. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر, دار المعرفة الجامعيّة, دط, الاسكندريّة (مصر), 2002م.

48. محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، 2002م.

49. محمود عكاشة: النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداوليّة) " دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ", مكتبة الأدب, ط1: 2013م, القاهرة, [دت].

50. مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب, دار الطليعة للطباعة والنّشر, ط2, بيروت (لبنان), دت.

51. مصطفى الصّاوي الجويني: البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد, النّاشر المعارف, دط, الاسكندريّة, [دت].

52. نعمان بوقرة: اللّسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة, عالم الكتب الحديث, ط1, أربد, 2000م.

53. هشام الرّيفي: "الحجاج عند أرسطو"، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, كلية الآداب منوبة, دط, تونس, [دت].

54. وليد سيف: (الشّاهدُ المشهود), الأهلية، ط١: 2016م، عمان(الأردن), [دت].

55. يحي بن شرف الدّين النّووي: شرح سنن الأربعين النّووية في الأحاديث الصّحيحة النّبوية، مكتبة دار الفتح، ط٤: ١٩٨٤م، دمشق، [دت].

ب_ الكتب المترجمة:

1. أرسطو طاليس: فن الشّعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلوالمصرية، دط, (مصر), [دت].

2. آن ريبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين غفوس، محمد الشّيباني، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، ط١: ٢٠٠٣م، بيروت (لبنان)، [دت].

3. رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشّرق، دط، (المغرب)، 1994م.

4. فرانسوا أرمينيكو: المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، الرّباط (المغرب)، [دت].

5. فرانك جوتيران: فنون السّينما، تر: عبد القادر التّلمساني، المجلس الأعلى للثّقافة، دط، القاهرة، 2001م.

6. فيليب بلانشيه: التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط١: ٢٠٠٧م، دب, [دت].

3/_ الكتب باللّغة الأجنبية:

1. Alain Berrondonner, eléments de pragmatique lingustique, éditions de minuit, paris, 1981.

2. Levinson, S.C. (1983): Pragmatics. Cambridge University Press.

3. Perelman et Tyteca, Traité de l’argumentation, op.cit.

4. Oswald Ducrot et jean – claude Anscombre: L’argument dons la langue, Pierre Mardaga Editeurs Bruscellesc, 3 ed, 1997.

5. Ghiglione(Rodolphe) : Opérateurs argumentatifs et stratégies langagières (in) argumentations et rhétoriques, C.N.R.S, 1995.

6. Ducrot Oswald «dire et ne pas dire», Herman, Paris, 1972.

7. Ben Nasar (A) : logique Symbolique et élémentaire, p 25, T 2, (ed), C.P.U.Tunis 2000.

4/_ المجلات:

1. مجلّة المناظرة: الرّباط, ع 04, 1991م.

2. مجلّة الأثر: الجزائر, ع 05, 2005م.

3. مجلّة الخطاب: الجزائر, ع 02, 2006م.

4. مجلّة عالم الفكر: الكويت, ع 01, 2001م.

5/_الرّسائل والأطروحات الجامعية:

1. رزيق بوزغاية: قيام السّاعة في القرآن الكريم مدلولية النّص ومرجعيته، بحث مقدّم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللّغويات، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة منتوري (قسنطينة)،٢٠١٢/٢٠١٣.

2. عزّ الدّين عطية: الدّراما التّلفزيونية ومقوماتها، وضوابطها الفنيّة، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير، كلية الآداب، قسم اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة غزة (فلسطين)، سنة ٢٠١٠م.

3. مسعود صحرواي: الأفعال المتضمة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في اللّسانيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر (باتنة)، سنة ٢٠٠٣/٢٠٠٤م.

6/_ القواميس والمعاجم:

1. باتريك شارودو ودُومينيك منغنُو: مُعجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، دار سيناترا، دط، تونس، 2008م.

2. جيرالد برنس: المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثّقافة، ط١: ٢٠٠٣م، القاهرة، [دت].

الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، ط١: ٢٠٠٢م، بيروت (لبنان)، مج ١، [دت].

سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللّبناني، ط١: ١٩٨٥م، بيروت (لبنان)، [دت].

ينظر: جال موشلر و آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية, تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدّين المجدوب, دار سيناترا, دط, تونس, [دت].

6/_ الموسوعات:

1. الموسوعة الحرة ويكيبيديا. WWW.Wikiwand.com

7/_ المواقع الإلكترونيّة:

1. الإمام بن باز _رحمه الله_، معنى قوله: (إنّ الله ليزغ بالسّلطان ...)، binBAZ.org.sac

2. حسن زايد: « عصر ورجال العصر»، pulpit,alwatanVoice.com تاريخ النّشر: 22/5/2.16.

3. Islam.Web.net تاريخ النّشر: ٢٠٠٥.١٠.٢٦.

4. لطفي الشّيباني: المقتضيات Les Présupposition في الدّرس التّداولي _ ديكرو أنموذجا_ bilarbiya.net/6945.html.

الفهـرسة

فهـــــــــــــــرس المحتويـــــــــــــــــات

_ شكر وعرفان.

_ إهداء.

_ مقدّمة..... 1

_ مدخل مفاهيمي..... 11

1_ التّداوليّة..... 16

2_ الحجاج..... 20

3_ تداوليّة الحجاج..... 26

4_ الحوار..... 30

5_ الدّراما..... 34

6_ الحوار الدّرامي..... 35

7_ السّيناريو..... 37

_ وصف المدوّنة: مسلسل ربيع قرطبة..... 40

1_ الأندلس..... 40

2_ الرّباعية الأندلسيّة..... 41

3_ المسلسل..... 43

4_ لغة المسلسل..... 46

_ فصل تطبيقي: التّحليل الحجاجي في التّداول..... 50

1_ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة..... 51

2_ المبادئ الحجاجيّة..... 72

3_ السّلم الحجاجي..... 84

4_ الفعل الكلامي..... 97

_ خاتمة..... 111

_ قائمة المصادر والمراجع..... 115

_ فهرس المحتويات.....
125

_ ملخص البحث..... 127

1_ باللّغة العربيّة..... 127

2_ باللّغة الانجليزيّة..... 127

ملخّـــــــص البحـــــــث

نسعى من خلال هذه الدّراسة إلى بيان أهميّة موضوع الحجاج اللّغوي وآلياته التّخاطبيّة الحجاجيّة في الحوار الدّرامي، ونخصّ بالدّراسة **مسلسل ربيع قرطبة.** فما هي أهم آليات التّحليل الحجاجي في الخطاب؟ وإلى أيّ مدى ساهمت في تحقيق الغايّة التّأثيريّة الاقناعيّة؟. وللإجابة على ذلك نهدف للكشف عن حجاجيّة اللّغة الطّبيعيّة عامّة والمستعملة في الحوار خاصّة. بالاستناد على منهج الوصفي والتّداولي اللّذان اقتضتهما طبيعة المدوّنة والموضوع. بُغية إبراز مكامن الحجاج وفاعليّته الاقناعيّة في الحوارات المتداولة.

Abstract:

The aim of this study is to demonstrate the importnce of linguistic argumenttion and its discursive and argumentative means in drama's dialogue, our corpus is the sery of "Cortoba's spring". The main questions qre : what are the argumentative analysis means in discourse? To what extent they contribute to realize the persuasive and perlocutionary objective? To answer these questions we try to unvail the argumentative aspect of natural language in genaral ant of that used actually in dialogue. Our approach is descriptive and pragmatic because they are pertinent to the nature or the subject and the corpus.